20 me. année No 991

Le Caire 30 - 6 - 1952

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩١ «القاهرة فى يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٧١ — ٣٠ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إسلام أمريكاني

للأستاذ سيد قطب

الأمريكان وحلفاؤهم مهتمون بالإسلام فى هذه الأيام .

إنهم فى حاجة إليه ليكافح لهم الشيوعية فى الشرق الأوسط ، بعد ما ظلوا هم يكافحونه تسعة قرون أو تزيد ، منذ أيام الحروب الصليبية ! إنهم فى حاجة إليه كحاجتهم إلى الألمان واليابان والطليان الذين حطموهم فى الحرب الماضية ، ثم يحاولون اليوم بكل الوسائل أن يقيموهم على أقدامهم ، كى يقفوا لهم فى وجه الغول الشيوعى . وقد يعودون غدا لتحطيمهم مرة أخرى إذا استطاعوا !

والإسلام الذى يريده الأمريكان وحلفاؤهم فى الشرق الأوسط ، ليس هو الإسلام الذى يقاوم الاستعمار ، وليس هو الإسلام الذى يقاوم الطغيان ، ولكنه فقط الإسلام الذى يقاوم الشيوعية ! إنهم لا يريدون للاسلام أن يحكم ، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم لأن الإسلام حين يحكم سينشئ الشعوب نشأة أخرى ، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة ، وأن طرد المستعمر فريضة ، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء ، فكلاهما عدو وكلاهما اعتداء !

الأمريكان وحلفاؤهم إذن يريدون للشرق الأوسط إسلاما أمريكانيا ، ومن ثم تنطلق موجة إسلام فى كل مكان.. فالكلام عن الإسلام ينطلق فى صحافة مصر هنا وهناك ، والمناقشات الدينية تغرق صفحات بأكملها فى صحف لم يعرف عنها فى يوم ما حب الاسلام ولا معرفة الاسلام . ودور النشر — ومنها ماهو أمريكانى معروف — تكتشف فجأة أن الاسلام يجب أن يكون موضوع كتبها الشهرية . وكتاب معروفون ذوو ماض معروف فى الدعاية للحلفاء ، يعودون إلى الكتابة عن الاسلام ، بعد ما اهتموا بهذا الإسلام فى أيام الحرب الماضية ثم سكتوا عنه بعد انتصار الحلفاء ! والمحترفون من رجال الدين يصبح لهم هيل وهيلمان ، وجاه وسلطان ، والمسابقات عن الاسلام والشيوعية تخصص لها المكافآت الضخام

أما الاسلام الذى يكافح الاستعمار — كما يكافح الشيوعية — فلا نجد أحدا يتحدث عنه من هؤلاء جميعا . وأما الاسلام الذى يحكم الحياة ويصرفها ، فلا يشير إليه أحد من هؤلاء جميعا ..

إن الاسلام يجوز أن يستفتى فى منع الحمل ، ويجوز أن يستفتى فى دخول المرأة البرلمان ، ويجوز أن يستفتى فى أمر الصيام

فى المناطق القطبية ؛ ويجوز أن يستفتى فى نواقض الوضوء . . ولكنه لا يستفتى أبداً فى أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالى . ولا يستفتى أبداً فى أوضاعنا السياسية والقومية ، وفيما يربطنا بالاستعمار من صلات

والديمقراطية فى الاسلام ، والبر فى الاسلام ، والعدل فى الاسلام .. من الجائز أن يتناولها كتاب أو مقال . ولكن الحكم بالاسلام ، والتشريع بالاسلام ، والانتصار للاسلام .. لا يجوز أن يمسها قلم ولا حديث ولا استفتاء !

* * *

وبعد فقد حدث أن هذا الاسلام الأمريكانى قد عرف أن فى الاسلام شيئاً يقال له « الزكاة » وعرف أن هذه الزكاة قد تقاوم التيار الشيوعى لو أخذ بها فى الشرق من جديد . . ومن هنا اهتمت « حلقة الدراسات الاجتماعية » التى عقدت فى مصر فى العام الماضى بدراسة حكاية « الزكاة » هذه ، أو بدراسة مسألة « التكافل الاجتماعى فى الاسلام »

ولما كانت أمريكا من وراء حلقة الدراسات الاجتماعية ، فإن ذوى الشأن فى مصر لم يروا أن يقفوا فى وجه حكاية الزكاة ؛ كما وقفوا فى وجهها يوم فكر فيها عبد الحميد عبد الحق باشا وهو وزير للشؤون الاجتماعية ! إن ذوى الشأن يستطيعون الوقوف فى وجه الزكاة يوم يكون الآمر بها هو الله . أما يوم أن يكون الآمرون بها هم الأمريكان ، فليس أمامهم إلا الخضوع والإذعان !

وعلى ذلك ألفت فى مصر لجنة من بعض أساتذة الشريعة فى الجامعة ، وبعض رجال الأزهر ، وبعض الباشوات ، لدراسة مسألة « التكافل الاجتماعى فى الاسلام » وبخاصة حكاية الزكاة ، لا لوجه الله ، ولا لحساب الوطن ، ولكن لوجه الأمريكان ، ولحساب حلقة الدراسات الاجتماعية

وهنا بدا وجه الخطر . . إن الأمريكان لو عرفوا حقيقة التكافل الاجتماعى فى الاسلام لفرضوه فرضاً على الشرق الأوسط ، لأنهم لن يجدوا سداً أقوى منه فى وجه الشيوعية .

والتكافل الاجتماعى فى الاسلام يفرض على الأموال تكاليف ، ويفرض عليها حقوقاً ، ويعترف للملايين بحق الحياة . . ودون هذا وتنقطع الأعناق . .

وإذن فلا مفر من تخبئة الأمر على الأمريكان ! ولا مفر من الاحتيال على النصوص ؛ ولا مفر من تخفيف الأعباء التى يفرضها الاسلام على الأموال ؛ ولا مفر من أن تخرج اللجنة من الزكاة نفسها بظل باهت لا يتناول إلا التافه ، ولا يمس الأموال إلا بقفاز من حرير

إنه لو كان الأمر أمر الله والدين لهان ، ولكنه أمر الأمريكان ! إن ما تقرره الشريعة الاسلامية شئ ، وما تقرره حلقة الدراسات الاجتماعية شئ آخر ! إن حلقة الدراسات الاجتماعية لا يجوز أن تعرف سر الاسلام الذى لا تعرفه ، وإلا فرضته على أهل الاسلام !

ولكن بعض أعضاء اللجنة من المائدين المكارين الذين لا يعرفون كيف يكتمون النصوص ؛ ولا يعرفون كيف يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ؛ ولا يعرفون كيف يشترون بآيات الله ثمناً قليلا . .

هؤلاء الأعضاء ما يزالون متشبثين بأن يطلعوا الأمريكان على السر الخطير ، ومايزال الأعضاء الآخرون يلاقون من تشبثهم عنتاً ، ولا يدرى إلا الله كيف تسير الأمور !

* * *

إنها مهزلة . بل إنها لمأساة . . ولكن العزاء عنها أن للاسلام أولياءه . أولياؤه الذين يعملون له وحده ، ويواجهون به الاستعمار والطغيان والشيوعية سواء ، أولياؤه الذين يعرفون أن الاسلام يجب أن يحكم كى يؤتى ثماره كاملة . أولياؤه الذين لا تخدعهم صداقة الصليبيين المدخولة للاسلام ، وقد كانوا حرباً عليه تسعمائة عام

إن أولياء الاسلام لا يطلبون باسمه براً وإحساناً ، ولكن يطلبون باسمه عدالة اجتماعية شاملة كاملة ؛ ولا يجعلون منه أداة لخدمة الاستعمار والطغيان ، ولكن يريدون به عدلا وعزة

شخصية الرشيد

على ضوء علم النفس الحديث

للأستاذ أنور الجندى

يقف « هارون الرشيد » على رأس القمة التى بلغتها الدولة العباسية ، بل التى بلغتها تاريخ الإمبراطورية الإسلامية كلها .. ، هذا المجد الذى لم يلبث طويلا بعد ذلك ، والذى كان خلال عهد المأمون امتدادا للدفعة القوية التى بلغها الملك فى عهد الرشيد . وحسبك بالخليفة الذى روى عنه أنه قال للسحابة المارة « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك »

اختلف المؤرخون حول الرشيد اختلافا شديدا ، فذهب بعضهم إلى أنه كان يصلى مائة ركعة كل يوم ، وأنه كان يتصدق بمائة ألف درهم ؛ وأنه كان يحج عاما ويغزو عاما .. وذهب البعض الآخر إلى القول بأن قصره كان صورة صحيحة لقصص « ألف ليلة » ، وأنه كان مرحا طروبا يقيم مجالس الغناء والأنس تنتظمها أكواب الراح ، وأنه كان يقضى غالب وقته بين الغناء والموسيق ، والمغنيات والقيان

على أنه ليس من الغريب أن يجمع الرشيد بين الصورتين المتباعدتين اللتين يجمعهما دلاله الشخصى القوى الحيوية، الدافق الشباب ، البالغ الفتوة

وليس على الرشيد من بأس على ضوء طبعه هذا من أن يعيش هاتين الحياتين معا، ويمزجهما على نحو من الاعتدال فهما ؛ قريبان جدا ، يلتقيان دائما ، إذا بعدت عنهما مبالغات القصاص وأحاجى الرواة

وليس على الرشيد من ضير أن يعقد مجالسه فيستمع إلى السمر والغناء والموسيق .. ، ولا يمنعه ذلك من أن يصلى لله مائة ركعة ؛ وأن يمضى إلى الحج عاما والغزو عاما

.. وكل وقائع حياة الرشيد الصحيحة التى بين أيدينا ، تدل على أنه أمضى حياة جادة كل الجد فقد حفلت حياته القصيرة بالغزو والجهاد ، فما كان ينتهى من غزاة حتى يفترع أخرى ،..

كذلك كان منذ شبابه الغض إلى اليوم الأخير من حياته

وأبرز ظاهر حياته أنه رجل حرب وقتال ، أشربت روحه بالجهاد وقيادة الجيوش ونضال العدو ، وكانت أغلب غزواته فى أرض الدولة البيزنطية ، فلما ولى الملك نظم الشواتى والصوائف وحرض على إرسالها ، ثم خرج بنفسه إلى قتال الروم بعد أن نقضوا المعاهدة ، ومنعوا الجزية

وقد كان حفيا بمنازلة الخصوم والأعداء ، لا يهدأ ولا يستريح إلا لنصر يكسبه من وراء نصر ، فلا يلبث أن ينتهى من صراع الأعداء على حدود الدولة البيزنطية حتى يعاود الصراع مع العلويين الذين يظهرون هنا أو هناك محاولين الفتنة أو منازعين على الملك ، ... وهو فى هذا كله صلب العزمة ، قوى العود ، على غاية من البسالة والحيوية ..، وهى صفات لا تجعل صاحبها بحال فى صف المنقطعين للهو أو العاكفين على الهوى ..

وفى هذا يقول الشاعر :

فمن يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكرامة ؛ ولا يتخذون منه ستارا للدعاية ، ولكن يتخذونه درعا للكفاح فى سبيل الحق والاستعلاء

أما دور العلن الذى يعلن بالاسلام فى هذه الأيام ؛ وأما المتجرون بالدين فى ربوع الشرق الأوسط، وأما الذين يسترزقون من اللعب به على طريقة الحواة ، أما هؤلاء جميعا فهم الزبد الذى يذهب جفاء عندما يأخذ الله طريقه، وسيأخذ الله طريقه سريعا ، أسرع مما يظن الكثيرون ، إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا .

« وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ... صدق الله العظيم

سيد قطب

٣٨٠٥٢

وقد بدت هذه النفسية الصارعة الجارفة .. على أوضح صورها وأقواها حين استبان له غدر البرامكة .. فصرعهم في ليلة واحدة ، على أسلوب غاية في الجرأة والحسم والبتر ، ولم يقبل فيهم شفاعة ، حتى شفاعة ظئره التي أرضعته وربته .. وكانت عنده في مقدمة الشافعين المشفعين

وليس شك أن هذا التصرف الجرئ بالنسبة للبرامكة ، .. بعد أن أطلق أيديهم في أمور الملك سبعة عشر عاما ، حتى بلغوا مكانا عاليا ، واستطار اسمهم ، وعلا صيتهم .. وفي الوقت الذي كان يعلم أنهم هم الذين أوصلوه إلى الملك ومكنوا له منه ، لدليل أكيد على قوة نفسية الرشيد ، قوة تزرى بما عرف عن جده المنصور.. وإن ظلت نفس الرشيد تحتفظ بطابعها الخالص من السماحة والرقة واللين والمرح والاشراق

.. وآية ذلك الذي نذهب إليه في نفسية الرشيد ، أنه في رحلته الأخيرة إلى خراسان ، حمل إليه أحد الخوارج ، وكان في أشد حالات المرض ، وفي سكرات الموت ، فأمرهم بقتله أمامه ، وظل يملأ نظره من دمه الهدر ، وهو مسجى على وشك أن يبلغ الأجل من علته ..

وكان الرشيد خلال حياته التي لم تتجاوز الخامسة والأربعين، حامل لواء الحضارة الاسلامية في الشرق — بالإضافة إلى منصبه كخليفة للامبراطورية — ، فقد احتضن الثقافة والفن ، وشجع رجال الشعر والموسيقى والغناء .. وأفسح لهم ومكنهم من الابتكار والتجديد والإبداع ، وعنى بالتأليف ، وأعان الفقهاء ، وفتح لهم أبواب البحث والقضاء ، وعقد لهم مجالس البحث والمساجلة والمناقشة في مختلف المسائل

.. واتصل بعميد الغرب في عهده ، شارلمان ملك فرنسا وجرمانيا وإيطاليا .. وأرسل إليه وفداً ..، وأهدى إليه مفاتيح بيت المقدس ، علامة على الود بين الغرب والشرق ، وبين الاسلام والمسيحية

* * *

ثلاث نجوم : كانت تدور في فلك الرشيد ، أمه الخيزران ، وزوجه زبيدة ، ووزيره جعفر

أما الخيزران فقد كرهت الهادى ، لأنه كان يصرفها عما تبغى من مظاهر السلطة والنفوذ ، وأما لرشيد فقد أباح لها ما تشاء منه ، وإليها يرجع بعض الفضل في أن يقفز إلى الخلافة، قبل أن يجئ دوره في ترتيب الوراثة وولاية العهد

وأما زبيدة فزوجه الأولى ، التي كان يؤثرها على كل زوجاته وسراريه وجواريه ، وهي أم الأمين ، وكانت ذات رأى وتدبير، فكان الرشيد لا يرى بدا من أن يأخذ بمشورتها ، وأن يطلق يدها في إنشاء القصور وتعمير المساجد وحفر العيون المعروفة باسمها ..

وأما جعفر فكان محببا إلى نفسه غاية الحب ، حتى لقد روى بعض المؤرخين أنهما كانا يدخلان في ثوب واحد ، وهو إن قيل على أنه ضرب من المجاز ، يصور مدى ما كان بينهما من الحب الصادق والود الأكيد

وروى أن جعفر تصرف باسم الرشيد في أمور غاية في الدقة فأقره الرشيد وقبل منه ورضى عنه ، ولم يمنع هذا جعفرا من أن يقع به ما وقع عندما قضى فيه الرشيد بأمره

وتلك شيمة من شمائل الرجل الفذ ، تثبت في وضوح قوة عارضته ؛ ولو كان كما روى عنه من الاسراف في الترف لما استطاع أن يحسم أمره بالقوة والبراعة والحكمة في الوقت المناسب

فإذا أخذ عليه بعد ذلك أمر ، فهو أنه بايع للأمين بولاية العهد والمأمون بخراسان والقاسم بولاية العهد بعد المأمون .. في عقد واحد ، وكان هذا الذي فعل الرشيد بعيد الأثر من بعده، وهذا خطأ من أخطاء العاطفة المتحمسة، والعقل الراغب في حسم الأمور ، الذي يظن أنها تنقاد من بعده وفق سلطانه.. وإرادته

وهو أشبه بما قيل عن رضائه من صداقة جعفر والعباسة ، وجمعهما في حضرته وإنفاذ أمره بزواجهما ، دون أن يلتقيا كما يلتقى الأزواج ..

فإذا صح ماذهبنا إليه من أمر الرشيد الذي عاش حياته مقسما بين الحرب والحج ، ومغالبة الأعداء والخصوم من الروم، والعلويين، والبرامكة .. ، فلا يمنع هذا الطابع المشبوب بالحماسة والقوة والحيوية ، من أن يرد موارد المتاع بالسمر ومجالس

الطرب ، فذلك يتمشى مع طابعه ولا يتعارض معه بحال من الأحوال

وقد أداه طبعه السياسي الواضح هذا إلى أن يرسم الخطط للأمور التي يمكن أن تقع بعد عهد طويل .. ولا بأس عليه من أن يخطئ . . خطأ المجتهد ، في أن ينظم الملك من بعده على سورة مبايعة طويلة المدى لأولاده ، وأن يقتل الخارجي ، وهو على وشك الموت ..

ولاشك أن تصرفه في كسب صداقة شارلمان ، وإهدائه إياه مفاتيح بيت المقدس ، هو من وعى السياسي النابه الذي يريد أن يحول بين عادية الصراع بين الشرق والغرب ، وهو ما امتحنت به المملكة الاسلامية بعد ذلك

وجملة القول في الرشيد أنه كان من أبرع ساسة الشرق ، وخلفاء الاسلام ، وأنه لم يكن بالمترف اللين الناعم كما صوره صاحب الأغاني ، أو كاتب ألف ليلة ، ولكنه كان قاسيا جبارا ، فيه روح المجاهد المحارب ، وعاطفة الشباب الفوار ، الذي لا يحب الهزيمة ، والذي يتعقب خصومه ويفتك بهم ، والذي يحب مجالس العلم ، ومجالس الفن ، ويلقاها مرحا مبتسما طلقا ، وإن طوى النفس على عزيمة ماضية تبرز في قوة حين يتصل الأمر بشخصه أو سلطانه

أنور الجندي

السلام العالمي والاسلام

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

الإسلام حرب والمسلمون متعصبون

هذا هو الحبل الذي شنقنا به أنفسنا كثيرا . وشنقنا به المستعمرون كثيرا ؛ ولا زلنا كل يوم نجده قريبا من أعناقنا للساعة التي نريد أن ننتقم من أنفسنا فيها أو ينتقم منا فيها غيرنا

وإذا كان من صالح الدول الغربية الاستعمارية وغيرها ، أن تباعد بيننا وبين ماضينا ومعتقداتنا ، فإنه ليس من صالحنا نحن أن نباعد عنا هذا الماضي وهذه المعتقدات . والأمم الغربية كلها مردت على الإفلات من قبضة الدين حتى ما تستطيع الرجوع إلى حظيرته مرة أخرى ، وهي تريدنا على أن نكون مثلها ، فنخلع عنا هذه الروحانية العالية والتوجيه السامي والإرشاد النير حتى تجد فينا مرتعا خصبا ، تحقق فيه آمالها ورغائبها ، لأنها تعلم حق العلم ، أن ديننا — هذا الدين الإسلامي الحنيف — يقف دونها ، ويحول بينها وبين ما تبغي ، ولا يكاد يفسح لها طريق الاستغلال والاحتكار والإذلال والاستعمار

وطالما سعت الأمم الغربية إلى هذه الغاية ، والعصور الماضية لا زالت تتراءى لنا في صفحاتها المليئة بالعظات والأخبار الحروب الصليبية المتكررة ، والهجمات المتتابعة من الغرب على الشرق في محاولات كثيرة لتشويه الدين الإسلامي ، وتسفيه العقلية الإسلامية ، والاستيلاء على بلاد الإسلام

وقد اشتبك الغرب بالشرق — منذ الاسلام — اشتباكات كثيرة ، كتب النصر في بعضها للشرق ، وكتب النصر في بعضها للغرب . على أن نصر الشرق كان مرجعه في كل مرة إلى الاستمساك بعقائده الرفيعة ، ومثله العالية ، ودينه الرباني الحنيف . ويوم انتصر الغرب على الشرق ، كان ذلك بعد أن تخلينا عن ديننا ، وغلبنا على أنفسنا ، وسرنا وراء رغائب الحياة الذليلة ومثلها الهابطة ، نفني أعمارنا وقوانا ، ونجعل منها سدا منيعا يحرمنا الاسترواح في ظل رسالتنا ، وطرائقها الحيوية ، وأهدافها

لقد استعمر الغرب بلادنا ، واستولى على مواردنا ، واحتكر مجالات النشاط الاقتصادي ، وساقنا إلى حروب لاشأن لنا بها ! غير أن أعظم ما فعله خطرا ، هو تلك الطائفة « المسلمة ! » التي رباها ونشأها وأعدها لحكم البلاد ، ووقف هو من وراء ستار يملي عليها ويدفعها إلى ما يريد

هذه الطائفة « المسلمة ! » تقتل الاسلام وتقتل المسلمين بأسلوب استعماري غير مباشر ، بعد أن فرغ الاستعمار من كل

ما يطيق فى هذه السبيل بأسلوبه المباشر ، واخترعا لنا هؤلاء جميعا فكرتى السلطة الدينية والسلطة الزمنية اللتين اعترف بهما الغرب لتنحسر ظلال الدين من مرافق الحياة ، وحاولوا أن يوهمونا بأن السياسة شيء والدين شيء آخر . وارتفعت أصواتهم المتخاذلة هنا وهناك لتنشر فى الشعوب المستكينة هذا المبدأ الخبيث

نحن فى بلادنا ، وقد انطلقت إلينا الدول الغربية من بلادها ، فزقت العالم الإسلامى مزقا ، وعذبت المسلمين فى كل قطر حلت به ، وضربتهم بالذل والفقر والفساد ، وكلما بدت محاولة لارجاعنا إلى مبادئنا الدينية حتى نهج فى الحياة نهجا صحيحا ، أذاع المستعمرون بيننا بلسانهم أو بلسان عملائهم ، أن الاسلام حرب وأن المسلمين متعصبون ، وأنه لا دين مع سياسة ، ولا سياسة مع دين

لذلك تجدنا فى حاجة إلى تصحيح هذه الأوضاع الخاطئة التى جرت عليها السنون أذيالها ، والتى تبدو الآن لكثير من الناس حقيقة لا مفر منها ، فى حاجة إلى فهم ديننا على حقيقته ، والرجوع به إلى مصادره الأولى ؛ يوم كان سياسة عملية زاكية ، تعمر ولا تخرب ، وتهدى ولا تضل ، وتعدل ولا تظلم ، وتحسن ولا تسىء ، فى حاجة إلى فهم أن ديننا سياسة ، وأن سياستنا دين ، وأن حياتنا فى أنفسنا ومع غيرنا لابد أن تقوم على هذا الأساس . فى حاجة إلى فهم قيمة عقيدتنا فى الحياة ، ومعرفة أسلوبها فى فض مشا كل الناس ومشا كل الأمم ، ودراسة أهدافها ، دراسة موضوعية صحيحة . فى حاجة لأن نفهم هل الإسلام حقيقة دين حرب ! وهل المسلمون بالتالى متعصبون !

فى هذا كله أخرج الأستاذ سيد قطب كتابه الرائع « السلام العالمى والاسلام » وهو من أول سطر فيه يسجل وظيفة العقيدة الدينية « فعمر الانسان محدود ، وأيامه على الأرض محدودة ، وهو — بالقياس إلى هذا الكون الهائل الذى يعيش فيه — ذرة تائهة لا مستقر لها ولا قيمة ، وعمره بالقياس إلى الزمن الهائل من الأزل إلى الأبد ومضة برق أو غمضة عين ولكن هذا الفرد الفانى . . . عملك فى لحظة أن يتصل بقوة الأزل والأبد ، أن يمتد طولا وعرضا فى ذلك الكون الهائل ، أن يرتبط به فى أعماقه وأمشاجه بوشائج من القربى لاتنفصم ، أن يشعر أنه من تلك القوى الهائلة وإليها ، أنه يملك أن يصنع أشياء كثيرة ، وأن ينشئ أحداثا ضخمة ، وأن يؤثر فى كل شيء ويتأثر . . . يملك أن يحسن الوجود فى الماضى والاستقرار فى الحاضر ، والامتداد فى الآتى ، يملك أن يستمد قوته من تلك القوة الكبرى التى لاتنضب ولاتنحسر ولا تضعف ، وإنه لقادر إذن على مواجهة الحياة والأحداث والأشياء بمثل قوتها ، فما هو بالتى الضائع ، ولا بالفرد العاجز ، وهو يستند إلى قوة الأزل والأبد وإلى ما بينه وبينها من وشائج

تلك وظيفة العقيدة الدينية ، وذلك أثرها فى النفس والحياة والعقيدة الاسلامية تنظر إلى الانسان ككل ، دون تفرقة بين سلوكه وأهدافه ونوازعه ودوافعه ، ودون تفرقة بين روحه وعقله وجسده » فهى تشمل كل نشاط الانسان فى كل حقول الحياة ، فلا تقصر مهمتها على حقل دون حقل ، ولا على اتجاه دون اتجاه . إنها لا تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فما لقيصر ، وقيصر ذاته ، فى العقيدة الاسلامية — كله لله . وما لقيصر حق ليس للفرد من رعاياه ، وإنها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده ، أو تتولى شمائره ، وتهمل شرائعه ، أو تتولى ضميره وتهمل سلوكه ، وإنها لا تتولاه فردا وتهمله جماعة ، ولا تتولاه فى حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته

« والاسلام يعد الحياة وحدة ، وحدة من ناحية الزمن متماسكة الحلقات ، متدرجة الخطوات ، متضامنة الأجيال ، متعاقبة الأطوار . وحدة من ناحية الفطرة ؛ متماسكة النوازع والأشواق ، ممتزجة المادة والروح ، قابلة للارتفاع إذا حسن توجيهها وتزكيتها ، مستعدة للهبوط إذا ساء التوجيه والقيادة « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها »

وإذا كان الانسان ينظر إليه ككل ، وإذا كانت الحياة ينظر إليها كوحدة ، وإذا كانت الحياة قابلة

للهبوط إذا ساء التوجيه، ومستعدة للارتفاع إذا حسنت التزكية، إذا كان ذلك كذلك فإن الاسلام يرسم طريقة فذة لتربية هذا الكل الذى هو الانسان، وللارتقاء بهذه الوحدة التى هى الحياة. فسلام الضمير، وسلام البيت، وسلام المجتمع - كل هذه أهداف سعى إليها الاسلام على طريق معبدة وبوسائل عملية مثمرة، حتى يطمئن الفرد فيطمئن البيت، وإذا ما اطمأن البيت أمن المجتمع. وبعد هذا كله تظلل الحياة والأحياء أعلام الأمن والسلام

إن الاسلام يرى أن سلام الأمم والجماعات إنما هو من ذات الفرد الذى يكون الأمم والجماعات، فالفرد هو اللبنة الأولى التى إن صلحت صلح البناء كله، وإن فسدت وكانت واهية ضعيفة انهدم البناء كله من أساسه. الفرد ذو قيمة، لأنه هو الذى يكون الأمم، وهو الذى ينشر المحبة والسلام، وهو الذى يسعى بما شب عليه إلى نظام فى الحياة أمثل، ولذلك رعاه الاسلام حق الرعاية، وهداه ووجهه وأرشده، ورسم له الحدود التى يبدأ منها والغايات التى ينتهى إليها. هذا وهو فرد، أما إذا كان فى مجتمع صغير — مجتمع الأسرة، فقد وضع له القوانين والنظم، وراعى فى ذلك حياة فرد آخر أو أفراد آخرين، ليكونوا أداة عاملة فى رقى الحياة. فشرع الرباط المقدس يربط بين الزوجين، وحرم الاختلاط والتبرج؛ وسن الحدود لحماية الأعراض. وأحل الطلاق وهو أبغض حلال إلى الله. وأباح تعدد الزوجات ليمكن مواجهة أحداث الزمن ونوازله. ثم جعل العائلة كلها متكافلة فى السراء والضراء؛ فى حال القدرة يفيض بعض أفرادها على بعض، وفى حال اليأس يمين القادر المحتاج

وإذا خرج الفرد إلى المجتمع الأكبر لم يتركه الاسلام، بل يسن له من القوانين والمبادئ والنظم ما يكفل لهذا المجتمع حياة صحيحة، وما يدفع به فى ثقة وأمن لتحقيق إرادة الله وكلمته، تلك الكلمة التى بها نزلت الشرائع من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فالرسل جميعا فى هذه الكلمة سواء: وهم مكلفون دعوة الناس إليها، وهم مكلفون هم ومن معهم الدفاع عنها والتضحية فى سبيلها

لم يغفل الإسلام فى هذا المجتمع الأكبر الأدب الاجتماعى النفسانى. ولم يقصر فى بذر بذور الحب والرحمة، وفرصة التعاون والتضامن. وشرع أهدافا عليا يسمى إليها المجتمع السليم. ونظم الحكم، وضمن العدالة القانونية. وضمن الأمن والسلامة. وضمن الحياة المعيشية. وعادل بين الطوائف والأفراد اجتماعيا. وقرر فى المال أصولا قيمة تضمن سلامة المجتمع

الله واحد. صدر منه كون واحد. بكلمة منه واحدة: وهداه بشريعة واحدة. كل هذا ليأمرنا بالوحدة والمحبة والتعاون، وتحقيق كلمة الله التى أرادها على مر الأيام والدهور، من صدق وعطف ورفع ظلم، وإحسان وتعاون وإنماء، ووقوف فى وجه الطغيان، ومحاربة الاستغلال الفردى والجماعى، والتزام الجادة، والنأى عن كل ما يحط الإنسان والإنسانية

هذه هى رسالة الله التى جاء بها موسى وعيسى ومحمد. فلسنا بخرج على أمم الغرب ودوله بجديد حين ندعو إلى هذه الأهداف السامية، لأنها من صميم رسالتهم من قبل أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، ومن قبل أن يفصلوا الدين عن الدولة. ومع ذلك فهم يرونها شيئا غريبا عنهم، لأنهم مردوا على النفاق والاستغلال والشهوة، ومردوا على مقاطعة رسائل الوحى ومخاصمة الأنبياء، إذ فى هذه الرسائل حد من طغيانهم وعبثهم ولهوهم واستغلالهم للأمم والشعوب

الإسلام دين سلام لا دين حرب. وهو يقاوم الحروب فى كل مظاهرها إلا فيما يتفق ورسالته العالمية؛ فهو لا يرضى الحرب العنصرية، ولا يرضى الحرب الدينية كما يفهمها الأوربيون، ولا يرضى حرب الاستعمار والاستغلال، ولا يرضى حرب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال، ولا حرب المغانم والأسلاب؛ إنما هى حرب واحدة يرضاها، ليقر السلم والعدل فى الأرض، ولينعم الناس بالهدوء والأمن، ولينعموا أنسام الحرية والتقدير. وهى الحرب التى يعلنها على الظلم فى جميع صوره وأشكاله، فلا يهادن قوة ظالمة على وجه الأرض، سواء تمثلت هذه القوة فى صورة فرد يتجبر على الأفراد والجماعات، أو فى صورة طبقة تستغل الطبقات، أو فى صورة دولة تستغل الدول والشعوب. إنها كلها صورة واحدة فى عرف الإسلام، صورة

منافية لمبادئه الأساسية ، وعليه أن يجاهدها ما استطاع ، وعليه ألا يهادنها إلا ريثما يتجمع لكفاحها ، ولا يعاونها ولا يقف في صفها بحال من الأحوال « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »

هل الدين الذي يسعى إلى هذه الغاية دين حرب ؟ هل الدين الذي لا يفرض نفسه عقيدة على الناس دين قتال ؟ هل الدين الذي يحرم الاكراه في العقيدة دين عسف ؟ وهل المسلمون الممثلون لهذه الغايات الشريفة متعصبون ؟ نعم متعصبون ! ونعم هو دين حرب ! في رأى هذه الدول الغربية التي رفضت الخضوع لدينها الصحيح ! وفي رأى بعض « المسلمين » المحسوبين على الاسلام ظلما وعدوانا !

هذا الكتاب الجليل الرائع من صفحته الأولى إلى صفحته الأخيرة لتقرير السلم العالمية في رأى الاسلام . هذه السلم التي تتمثل في دفع الظلم وإقرار العدالة الاجتماعية وحسب . هذه السلم التي تبدأ من ضمير الفرد وتنتهي إلى هذا العالم الأوسع . وقد قدمت حقائق هذا الكتاب كلها مؤيدة بالأسانيد القرآنية والنبوية ومأثورات السلف الصالح

وحين كنت أطالع هذا الكتاب ، كان يقوم بنفسي اعتراض أو رأى أو حاجة ، فما هي إلا بضعة سطور أو بضع صفحات حتى أجد ما أحب وأرجو ، كأنما كنت معه على ميعاد غير منظور

وإن السلام الذي ننشده بهذا الكتاب ، وبدعوتنا الربانية المشرقة ، ليحملنا على التدقيق في كل ما نكتب وما نقول . وإنه قد حاك بنفسي حائك من هذه العبارة « ويسكب الاسلام في النفس السكينة والأمن والسلام ، بالركون إلى الله والاطمئنان إلى جواره ، والثقة في رحمته ورعايته وحمايته . وهي خاصية العقيدة الدينية التي يشارك الاسلام فيها سائر العقائد السماوية .. وإنما يتميز الاسلام بأن العلاقة فيه مباشرة بين الرب والعبد ، لا يدخل فيها كاهن ولا قسيس ، ولا تتعلق بإرادة مخلوق في الأرض ولا في السماء »

وأنا أحسب أن العلاقة المباشرة بين الرب والعبد ليست مقصورة على الاسلام ، إنما هي في الديانات السماوية كلها ، من آدم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد بن عبد الله ، ولكن الوغول في هذه العلاقة حدث على أيدي المحترفين بالدين من الكهان والقسس الذين بدلوا في كلم الله ، ولا شك عندي أن الأستاذ المؤلف يقصد بعض الديانات التي زورها أهلها وانحرفوا بها عن سياستها الإلهية المرسومة

ويقول الأستاذ المؤلف « حتى الجريمة لا يجوز إثباتها بتسور البيوت والتجسس على الناس في مأمنهم . وقد حدث أن مر عمر بن الخطاب في إحدى جولاته الليلية ببيت سمع فيه صوت رجل وامرأة لمه رابه ، فتسور الحائط لينظر ، فإذا رجل وامرأة ومعهما زق خمر . فقال عمر : ياعدو الله ! أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصيته ! فقال الرجل : ياأمير المؤمنين : أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث . فالله يقول « ولا تجسسوا » وأنت تجسست علينا . والله يقول « وأتوا البيوت من أبوابها » وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه . والله يقول « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » وأنت لم تفعل

وهكذا لم يجد عمر أنه يملك عقابه ، فاستتابه ! »

وأحسب أن الاسلام يبيح التجسس فيما هو من صالح الرعية والقيام على حياطة القوانين . وعمر رضي الله عنه ما خرج إلا متجسسا مستطلعا . ويبدو لي أن هذه القصة وضعت وحملت على عمر . وإلا فإنها لكبيرة من هذا الفارغ الوقح أن يجابه عمر هذه المجابهة : رجل معه امرأة ، ومعه زق خمر ، وصوت الرجل والمرأة يدعو من يسمعه عرضا إلى الاسترابة به ، فإذا ما استشرف أمير المؤمنين لينظر ما رابه يناظره هذا الفارغ الوقح في أصول الدين ! إن عمر لم يعاقبه لو كانت القصة حقيقية ، لا لأنه تجسس ، ولا لأنه أتى البيت من غير بابه ، ولا لأنه لم يستأنس ولم يسلم ، ولا لأن حجة هذا الفارغ فلجت حجة عمر ، بل لأن شروط العقاب لم تتوفر ، فلم يبق إلا التعزير وهذا ما فعله عمر

إن الكتاب كتاب إسلامي قرآني . وإني أراه يمتاز بميزات ثلاثة : الأولى وحدة موضوعة . الثانية أنه سد في نفوسنا حاجة ملحة في هذه الفترة من الزمن . الثالثة بيانه المشرق وتعبيره الرائق

محمود عبد العزيز محرم

جــــوته

للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تابع

حاجته للغضب والعنف :

طبيعي أن أقوال جوته هذه هي عين التشاؤم ، ولكنه أساساً كان راضياً بالوضع القائم ؛ لأن روح المسالمة كانت بعيدة عنه . وعلى النقيض من ذلك كان يشعر شعوراً جارفاً بالقوة والنضال « كي يتمكن الإنســان أن يتفوق على أخيه » وهذا يذكرنا بقول (فاكنر) : « عند ما تتحرك القوة بدون خوف يعجبني المجلس الحربي كثيراً » . زد على ذلك أنه كان يعترف بذلك جهاراً وهو القــائل « إنني أشعر بالتعاســة عند ما أكون متصالحاً مع الآخرين » وهناك شواهد كثيرة يمكن استنتاجها من قنــاعته وسروره بالعنف والعقــاب واستعداده لاسكات الآخرين بالقوة الناشئة « ونبذ أضراب هؤلاء الناس من المجتمع المتمدن » .

إن الشيء التعس حقاً والمزعج للوطنيين الذين كانوا يسمون لتثقيف ألمانيا وتحريرها سـياسيا أن يكون الشــاعر في طليعة الناهضين لهم والمقاومين لمكرتهم التحررية ، وما أن وافاه الأجل المحتوم حتى شعر النــاس براحة بالغة وتنفسوا الصعداء لخلاصهم من هذا الكابوس ، وعلى الرغم من اعتقاده بأن الحرية لا يمكن أن تمنى شيئاً للأرقاء ؛ فإنه سمح لنفسه بالمزيد منها بصورة لا محدودة ولا موصوفة ولا مدركة ، حرية كاملة ، حرية كانت تتشكل بجميع الأشكال وكانت تطالب بالاطلاع على كل شيء وأن تدرك كل شيء ، وعلينا أن نتذكر أنه لم يكن كتاباً بل إنساناً مفعماً بالتناقضات ، إنساناً عظيماً ذا متناقضات هائلة وقد أحب أن يدعو نفسه « مناهضاً للمسيحية بعناد وتصميم » . ولم يترك فرصة لا يظهر فيهــا وبأسلوب المؤثر .. كراهية الوثنية « للصليب » كما فسل نقشه بعاطفيته الشــديدة ضد الأخــلاق المسيحية ، ولو أن ذلك لا يمنعنا من ملاحظة طبيعته الطيبة ، وكذلك الحال مع قوته الذي ناصر الوثنية ، وهذا الانتصار للوثنية لا يمكن أن يعارض حقيقة وجوده الروحي ، والتي كانت تقر بالثورة الادراكية . ولعل خير دليل على ذلك قوله « إن كل نوع من الألم فيه عنصر إلهي » . وطبيعي أن نقول أن الرجل الذي يتكلم بمثل هذه اللغة لا يمكن إلا أن يكون مسيحيــا ، بالرغم من أنه عارض ذلك مئات المرات وقال : « إن الانخــذال والتألم ليسا من طبيعته في شيء » وقد أعلن بلهجة شديدة قاسية ذات يوم « أن الإنسان له حرية في الحياة بأن يكون إما مطرقة أو سنداناً » .. وقوله « يظهر لي أنه من الخير أن يكون الإنسان مطرقة من أن يكون سنداناً » وهو أمر مألوف منه ، ولكن الذي يدعو إلى التمعن لرضــاه « تحمل الضربات المتوالية الأبدية » .

والآن ننتقل إلى شعاره الجديد والمعروف بـ « النفور » فقد ظل ملازماً لكتاباته كما كانت « الحرية » شعار (شلر) و« الفداء » شعار واكنر ، وكل شيء يدعونا للتردد باعتبار هذا الشعار شعاراً وثنيا على الرغم من إيمانه بالقوة والنضال لأن قوله : « أن الحرب في الحقيقة مرض يعجز عن معالجته نطس الأطباء وهي مخالفة للسنن الطبيعية » رد بليغ على إيمانه بالقوة . أما مسيحيته كعامل ذي أهمية كبرى في تكوين شخصيته فقد كانت تعود بالدرجة الأولى إلى تربيته البروتستانتية .. وقد استرعى انتباهه بصورة جدية ترجمة لوثر للكتاب المقدس فعلق على ذلك بقوله « إنني أتمكن أن أضيف على ترجمة لوثر ولكن بصورة أحسن » ولكن البروتستانتية لم تثبت أمام حدة نقده بل نراه ينبذ ذلك ويلتجئ مرة إلى مدح القوة البدنية أو يلتجئ إلى الكاثوليكية للوحدة الديمقراطية مرة أخرى فيقول « يجب أن يكون الإنسان كاثوليكيا كي يتمكن أن يشارك العامة في عيشه وأن يختلط بهم ويتعرف على مشــاكلهم وأن يكون واحداً منهم يشاركهم في السراء والضراء .

سريان التناقض في جميع أعماله ومؤلفاته :

ضمه أينما شئت من طبقات التفكير أو الوجود — استناداً على الشــواهد التي لا تقبل الجدل — فستجده حتما في الطبقة المناهضة المعارضة ، وهذا من مميزاته حتى في مواقفه الخلقية مثلا ، وموقفه فيما يتعلق بالزمن نفسه لا يختلف من ذلك في شيء .

فتراه متباطئاً متكاسلا حيناً وتراه مراعيا جهده الوقت حيناً آخر تحت شعاره المألوف « ما أغنى إرثي وما أروعه . إن الوقت هو ملكي وأرض حصادي » . أما من الناحية الفنية فقد كانت مؤلفاته تناقضاً غريباً بحذ ذاتهـــا ، فبينما نراه يمثل نفسه تمثيلا موضوعيا « أبوليا » في سخريته ، نجده في الوقت ذاته غنائيـا واعترافيا ، يرسم بأغانيه صورة نفسه ويعبر عنها أحسن التعبير .

ولعلنـا بوصفنا إياه كمترف ومكفر من ذنوبه نصيب كبد الحقيقة من أن نصفه بأية صفة أخرى ، ولنا الآن أن نتصرف على ذلك بصورة إجمالية، كيف كان يشرح حياته وبين الأهواء التي كانت تتنازعه ؟ يمكننا الإجابة على هذا السؤال باطلاعنا على نقاط الضعف في حياته وكتبه : — فانتحار (فرتر) وخيانة (كلافيكو) وهسترية (تاسو) ودعارة (إدوارد) وخبث (فرناندو) في مؤلفه (استيلا) دلائل ناطقة على سلوكه

إن الإنسان ليعجب عند ما يلاحظ مهوره وسخريته من أدب (المستشفى) ورغبته في تغيير ذلك بأدب روحي سام عوضاً عنه . ومع ذلك فقد كان له (مستشفاه) الخاص ، وفي (مستشفاه) هذا يجد اعترافه وضعفه الإنسـاني باديين بكل جلاء ؛ حتى أن مؤلفيه (مايستر) و (فاوست) يبدوان وكأن الوهن قد أصابهما في جوهرهما وهما لا يعدان شيئاً بالقياس إلى الرجولة المثالية التي امتلكت على الشاعر مشاعره

وعلى الرغم من أن ميزة الرجـولة لا تظهر بوضوح في كل هذا النتاج المتنوع كما هي الحال مع (شلر) إلا أن النزعة الروحية الإنسانية بادية في كل ما كتبه بصراحة تدعو إلى الإعجاب وبأمانة تفوق الوصف وبدقة لا متناهية ، وفي كل ما كتبه يظهر طابع سحر شخصيته بصورة بارزة ، بحيث يمكننا أن نقول ويحق أن الابداع الأدبي جميعاً قديمه وحديثه لا يوازيه بقوته وسحره . وكمثال على ذلك أحب أن استعرض تمثيليته (أكونت) . هذه التمثيلية التي كانت مثاراً للتقدم الناحية الدراماتيكية وحتى الناحية الفنية المحضة . ومع خروج هذه التمثيلية على جميع نظم المسرح إلا أنها تتسم بجمال فتان ، بأخلاق بطلها ، ذلك البطل صاحب النزعة الأرستقراطية والشعبية معاً . وما من شك أن روح اللامبالاة الرقيقة التي تسري في مسارب هذه التمثيلية تظهر غوته على حقيقته بجميع رغائبه وشخصيته ، والتي هي في نظري أوج الكمال التي ارتقى إليه سحر غوته — نجد ذلك في أكثر مؤلفاته كما نجدها في علاقته اللاعاطفية مع (كلارجن) ؛ تلك الفتاة الصغيرة التي كانت من عامة الشعب وأخت (كرجن) التي عرض لها نفسه بلباسه الملكي الاسباني وهو يحمل الدالية الذهبية لمجرد غرامه بآهاتها وواهاتها .. وهنا نجد (ترجسيته)[1] التي تتمثل في حبه للفتيات السذج اللائي كان يعتقد بأنهن يمثلن عالم الروح والحب ، ولم يربط نفسه بهن إلا برباط الغرام المؤقت ، هذا الرباط الذي لم يكن إلا طارئاً ينثره غبار الزمن فينحل وكأنه لم يكن. أما فكرة الزواج فكانت هي نفسها فكرة خيالية عابرة كحبه

حياته الغرامية :

كانت حياة غوته في الحب فصلا غريباً ، والمتتبع للثقافة العامة مجبر على التصرف بشؤونه الغرامية لكي يكون انطباعه عنها صحيحاً لا تشوبه شائبة ، فألمانيا في الأيام — التي نحن بصددها — كانت مسارحاً لهذه الحوادث ، وليس لدارسي غوته إلا تمداد هذه الحوادث كما كان يفعل (زيوس) . إن هذه الحوادث أضحت الآن تماثيل في (كاتدرائية) الانسانية ، وأما ركوعه وخضوعه أمام (فردريكا) و (مريانه) و (لوته) وتذلله أمام أقدامهن — وهن ما هن عليه من سيطرة ونفوذ — فلم يدم طويلا لأنه رأى في كل ذلك إهانة لنفسهـا وحطا من قدرها ، فتمرد على هذه المواطف الهوج وخرج مما تورطه به مفعماً شهامة وبأساً ، وربما كان في هذه الحوادث مايعوض من تناقضه الذي كان ينتابه وولاؤه الذي كان أبداً ما ثلا إلى الانهيار . لأن حبه — في الحقيقة — لم يكن إلا ضرورة ووسيلة لغاية ، تلك الغاية التي تتمثل في عمله الأدبي

كتب مرة إلى (لوته) قائلا ... إنك لا تشعرين بفرتر كما يجب وإنما الذي تشعرين به هو أنا ونفسك . وإذا كان في إمكانك أن تشعري بواحد من ألف مما يعنيه فرتر إلى آلاف القلوب لقدرت المتاعب التي تحملتها في سبيل التعبير عنه » .

(١) محبة الفتيات الصغار وهو شذوذ جنسي

وطبيعي ألا تفهمه النساء ولكنهن تحملن عبثه اضطرارا

نظم غوته الشعر منذ البداية على الطريقة الفرنسية والإيقاع اليوناني القديم، وكان شعره موهوبا منسجماً مع روح العصر، فيه خفة ورقة وعذوبة. وقد أصبح بتطور الزمن شاعراً يشار إليه بالبنان في دسترا سبورغ، بتأثير هردر. وكان لاتصاله بهوميروس واسيان وشكسبير، وخصوصاً بالأخير الذي كان معجباً به أشد الإعجاب في جميع أدوار حياته، وولعه بالكتاب المقدس وبالغناء الشعبي أثر هائل في توجيه حياته الأدبية وتنمية روح الطلاقة والانطلاق والصفاء فيه. أصبح هردر بفضل تعلمه وعمق إدراكه وغرزته النقدية القائد الأدبي للثورة التي طغت على ألمانيا سنة ١٧٧٠؛ ولكنه كان يعوزه سر العظمة الملهمة والسحر الأدبي واللطف الإنساني، التي كان تلميذه غوته يتمتع بها جميعا، وهذا هو الذي جعل الشاب اليافع يبز أستاذه ويتفوق عليه. وإني أعتقد أن هردر شعر بذلك ولم يتمكن من مغالبته المرارة التي أحدثتها تصاريف الأيام في نفسه. ليس في إمكاننا الآن أن نشعر بمقدار الاستفزاز الذي حدث في ربيع العبقرية، والعاصفة التي أثارتها قصيدته (مرحبا وإلى اللقاء) وكيف أن سياق القوافي وتيارها الجارف بعثر ما تبقى من رماد زيف الشاعر الواقعي هردر، كما أن قصته (غوتس فون بيرلنجن) كان لها الوقع نفسه، تلك القصة التي هزت المسرح بأسلوبها الشكسبيري وبعرضها الألماني القديم، وقد وصفها فردريك الكبير بقوله «إنها جنون لا شكل له» ونبذها، ولكنها مع ذلك حازت سمعة هائلة باستفزازها وتحديها لجميع النظم الشعرية وسخريتها بما تواطأ عليه الشعراء، فوصفها غوته نفسه بأنها أحدثت رضا شعبيا شاملا وذلك في كتابه «الشعر والحقيقة». ثم نأتي بعد ذلك إلى بعض المشاهد الأولى من (فاوست) فنجد أصدقاءه يصفقون والمداد لم يكد يجف، ويتحدثون بفرح متزايد «عن الشخص الذي ينمو بصورة منظورة»

أما (آلام فرتر) تلك القصة التي انطبعت بطابع الرسائل فلم تقتصر على أصدقائه والمقربين إليه أو مدرسته الخاصة ولا حتى على بلاده ألمانيا، بل تعدتها إلى العالم فاحتضنها كما احتضنته هي. ولا ريب أن العاطفية الواهنة الخجلة التي أبدع في جلائها هذا الكتاب الصغير، هي التي جلبت إلى مؤلفه مقت الأخلاقيين بالرغم من إخلاصها الطبيعي، وأثارت في الوقت نفسه عاصفة من الاستحسان اللامحدود من قبل الشباب. إنها كانت كالشهاب الذي سقط في مستودع مفرقعات فأحدث انفجاراً للقوى الخطرة التي كانت متحفزة للانطلاق. ويبدو أن الرأي العام في جميع الأقطار كان ينتظر — وبصورة سرية — هذا الكتاب من شاب ألماني مغمور في المدينة الإمبراطورية.. ومن الغريب أن نابليون نفسه كان يحتفظ بالترجمة الفرنسية لهذا الكتاب في الحملة المصرية. لم يتمكن غوته أن يجرب نجاحاً عاصفاً كما جربه في هذا الكتاب، فإنتاجه الذي شغله طوال حياته لم يقابل بمثل الحماسة التي قوبل بها هذا الكتاب

أما كتابه (ولهلم ما يستر) فقد لاقى رواجا كبيرا وعد من وجهة النظر الفنية — أي من وجهة النظر الرومانسية — بمصاف الثورة الفرنسية ونظرية (فخته) في العلوم. وعلى أي حال فإن هذا التأثير يعود إلى (سترفتر) و (كلر) و (الجبل السحري) ولكنه يعد الثاني بالنسبة إلى (فرتر) في مدى نجاحه، وهذا ينطبق بالفعل وبصورة أوسع على كتابه (القرابة المنتخبة) وأشخاص روايته هذه يمثلون رموزاً وبيادق في لعبة ثقافية تدعو إلى التفكير العميق ... أما كتابه (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) والذي احتوى على ما لا يثمن من جواهر غوته فقد ظلت طبعته الأولى في المكتبات مكدسة بدون أن تلق أي رواج يذكر

أنهى غوته القسم الثاني من فاوست بجهد جهيد وتعب شديد، لأن قوته البدنية كانت في تدهور مستمر؛ وقال بالخصوص ذلك ما يلي: «إن هذه الأوقات سخيفة جدا لدرجة أنها أقنعتني بأن جميع مجهوداتي المضنية المخلصة سوف لا تجازى، بل سيرمى بها على ساحل البحر! وستحطم هناك إلى أن تغطى برمال الشرف»..

تأثير فاوست العالمي

نشرت بعض القطع من القسم الثاني من فاوست في حياة

غوته وخصوصاً ملحمته (هيلين) التي نشرت في جميع المجلات الفرنسية والأسوجية والروسية، وقد علق على ذلك غوته بقوله: «إن الأدب الوطني لم يعد له مكان يذكر في عصر الأدب العالمي، وإن كل شخص يجب أن يبذل جهده للاسراع بإيصال هذا العصر إلى ذروة قوته».

كيف أدمج العالم بذاته؟ وكيف أثر فيه؟ ماذا أعطته كل من إنكلترا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا والشرق الأقصى وأمريكا؟ وكيف أثر في الحياة الثقافية لهذه البلدان جميعا؟ كل ذلك وأكثر من ذلك يشرحه لنا المؤرخ الأدبي (فرتز ستريخ) في كتابه (غوته والأدب العالمي) «والذي(١) لايزال أكبر مصدر في دراسة غوته.» وقد قال أمرسون بخصوص فاوست ما يلي: «إن الشيء البارز في هذا الكتاب هو الذكاء الهائل. إن ذكاء هذا الانسان محلل جبار للعصور القديمة والحاضرة على السواء، بما فيها من الأديان والسياسة وأساليب التفكير، محلل لها إلى عناصرها وأفكارها البسيطة». فهذا الذكاء الهائل وهذه الإحاطة الشاملة والتنظيم الدقيق والعقل الممتزج بالشاعرية، كانت تمثل فكره الجبار الذي كان ينبض بمشاعر المستقبل بشجاعة خارقة. ومن الغرابة أن نتصوره وقد تحدى الموت بادرا كمه المستقبل وبتوقه له، وهو لا يزال في دور الصيرورة والتكوين، ليس في الناحية الاخلاقية والظاهرية وحسب، بل حتى في الناحية العملية، هذا التوقع الذي كان واجب كل شخص الإسراع بإعداده والتهيؤ لاستقباله والعمل على إبرازه إلى حيز الوجود. وفي الحقيقة فإن كتابه (رحلة ولهلم مايستر) الذي وضعه في أواخر أيامه، يتضمن فكرته الأساسية وهي (النفور). أما مثله الأعلى المتقمص في فكرة (الشخصية الكونية) فنراها تذبل تدريجاً حتى تسقط نهائيا من مؤلفاته الأخيرة فيحل محلها العصر الإجتماعي، وأما ما نجده في هذا الكتاب فهو عدم أهلية الفرد للقيام بما يتطلبه المجتمع منه كفرد، ولذا فاجتماع الناس هو الذي يكون مفهوم الانسانية، وعلى ذلك يصبح الانسان عثابة عمل وأهميته تبرز لكونه يقوم بدور فعال في سبيل الثقافة الاجتماعية،

وكذلك يظهر مفهوم الجماعة بوضوح وجلاء من طريق إحلال العلاقة الاجتماعية محل الفردية الضيقة

وليس من شك في أن عمره الطويل - على وقاره - لم يتطرق إليه الجفاف ولا التصلب، فقد كان مفعما بالحساسية والدهشة والاستمتاع بالحياة ورفع شأن الأفكار العصرية. وقد كان الحديث الدائر على مائدة سيد القرن الثامن عشر لا يتعدى نطاق الأفكار الطوبائية والمشاريع العمرانية، كحفر قنال لإيصال المحيط الهادي بخليج المكسيك وحفر قناة أخرى لإيصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر. وقد كان يؤكد دائماً ذلك بقوله: «وإن تحقيق هذه الأشياء يستحق مني العيش خمسين سنة أخرى». أما ثقته بالمستقبل فقد كانت تحتضن العالم كله، وأما حماسته فكانت نتيجة لشعوره بالقيمة العملية للحقائق المادية وتأثيرها في نبذ الأفكار الغيبية التي كان العالم متأثراً بها ومريضا بسببها فسعى جهده لتخليصه منها. وقد نظم كل هذه الشاعر ببيته التالي «إلى أمريكا! إن حياتك أحسن من حياتنا هنا في القارة، فأرضك لا تموتها الصخور ولا القباب القديمة الخربة» وجميع هذه القباب هي من آثار (السخافة القديمة (١)) التي يمقتها أشد المقت، وكان يصر على تهديمها كي يحب الانسان الحياة على اعتبار هذه الآثار من الناحية المعنوية - كانت تمثل في نظره الرجعة العاطفية (السخافة) التي كانت تقف حجر عثرة في سبيل التقدم البشري، وقد ناضل شاعرنا من فجر حياته لتحطيم أحزاب هذه السخافات لما لها من تأثير في العقول؛ يبدو ذلك من قوله في كتابه ولهلم مايستر (إنهم لا يخافون شيئا كخوفهم من الفطرة السليمة، ولكن عليهم أن يخشوا السخافة التي هي الهول بعينه: ولكن الفطرة السليمة تمر قل مسامع لتحقيق مآربهم فملها السلام ولتترك جانبا، ولتقدم السخافة ما يحلو لها وما عليك إلا أن تجلس وتنتظر)

ومع ذلك فغوته لم يجلس ولم ينتظر بل صمد (وقف) بشجاعته وبأسه يجالد ويناضل في سبيل إبادة هذه السخافة، وفي سبيل تثبيت أركان الفطرة السليمة. أليس اتجاه السخافة هذه

(١) من كلام المترجم

(١) يقصد المؤلف أموراً ما وراء الطبيعة (المترجم)

بذاته يهدد الإنسانية اليوم ؟

أجل إن ذلك لم يخف على بصيرة جونه فعرفها وشعر بها وهي تنمو؛ ولقد وجدناه بطلا متوارياً في مقارعته لها، وهذه القوة هي التي جالدها لا الثورة ولا الدستور ولا حرية الصحافة ولا الديمقراطية . ولقد قيل إن آخر كلمة صدرت من فمه قبل أن يغمض عينه الإغماضة الأخيرة (دعوا ضياء أ كثر يدخل على) ولـكن هذا القول لا يمكن الاعتماد عليه بصورة قطعية ، ولـكن الشيء الذي قاله حقيقة في كلمته الأخيرة ، الـكلمة التي ناضل طول حياته في الدفاع عنها هي (وأخيراً إن الشيء المهم هو التقدم !)

بعقوبة ترجمة — يوسف عبد المسيح ثروت

أقباس من الكتاب

المؤمنون الفائزون

للاستاذ نور الدين الواعظ المحامى

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

قرآن كريم

أخي المؤمن :

إن مثل الإيمان فى القلوب ، كمثل النور فى الظلام ، فكما أن النور ينير ديجور الظلام ، ويبدد أشباحه ، ويزيل مخاوفه ، ويبعث الطمأنينة فيه ، ويطرد أوهامه ، فإن الإيمان ينير القلوب ويبعث الحياة فيها ، ويكشف عنها أغطيتها الـكثيفة ، ويقذف الانشراح فيها .. فتصبح القلوب المؤمنة « كالربيع » فى جمالها و « كالسماء » فى صفائها ، فتنجلى أسرارها ، وتنكشف خفاياها ، فتبدو لامعة تسر الناظرين ، ملهمة تبهر بصيرة المتدبرين .. يفيض منها الطهر ويتدفق منها الصدق والإخـلاص . تلك هي القلوب التى تعى وتفقه ، وتدرك وتبصر : وإن مثل المؤمن كمثل المصباح ؛ فكما أن المصبـاح يزداد ضياء وشـعاعاً بزيادة النور فيه ، فكذلك المؤمن ، يزداد طهراً ، وصدقاً وإخلاصاً ، بزيادة الإيمان فى قلبه ، ويزداد انصياعاً للحق ، وانقيـاداً للحقيقة ، بقوته فيه ؛ لأن الإيمـان إذا استقر فى قلب ، فإنه يغذيه بالمكارم ، ويسقيه بالفضائل ، ويمده بالأعمال الصـالحة .. فيكون صاحبه مؤمناً ، كريماً ، فاضلا ، يعمل الصالحـات ، ويتواصى بالحق ، ويتواصى بالصبر . ذلك هو الإيمان الحق .. وذلك هو المؤمن الصادق

ولـكى تنمو شجرة ذلك « الإيمـان » فى قلب امرئ ما .. وتثمر .. لا بد من ارتباط القلب بقوة مبدعة عظيمة . . وانقياد لها فى الحركة والسكون .. والمنشط والمكره، حتى يكتسب القلب « رهبة المراقبة » من تلك القوة المبدعة ، السرمدية ، الحـكيمة الأزلية التى هى علة الوجود وسره الذى لا يدرك كنهه » وخير وسيلة لارتباط القلب بإرادة تلك القوة المبدعة هو « التمثل » بين الواحد الأحد .. الذى لم يلد ولم يولد ، فى الصلاة ، بخشوع صادر من القلب ، منبعث من جوانحه ، لأن الصلاة هى معراج الروح إلى الملأ الأعلى .. بها تغرس بذرة الإيمان فى القلب ، وبالاستمرار فيها تنمو شجرته ، وبالإكثار منها تثمر .. « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » كما لا بد من إيتاء الزكاة تزكية للأموال من الدنس . وإيفـاء لحقوق السـائلين « وفى أموالهم حق معـلوم للسائل والمحروم » لأن الحق يستلزم ايفاءه ، والممتنع عن إيفائه عاص يجب محاربته وعقابه . إذ لا تهاون فى الحق لسمو منزلته وعلو مكانته ، وخطورته ، لأن فى ضياع الحقوق اختلال توازن العدالة ، وتحكم الظالم فى مصير الناس . ولا بقاء للملك مع الظلم ، لأن العدالة أساس الملك .. ولا عدالة مع إنكار حقوق السائلين والمحرومين . « والذين هم للزكاة فاعلون » .ولـكي تستمر شجرة ذلك « الإيمان » فى النمو والحياة . . لابد من ترفع عن كل ماهو باطل وضلال ، وفسق وفجور ، وإعراض عن المعاصى وابتعـاد عنهـا وسمو عن اللغو ، وإغراق فى حب الحكمة ، صيانة للوقت الذى هو كالحياة .. وترفعاً عما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال .

« والذين هم عن اللغو معرضون » . كما لا بد من اجتناب الفحشاء والمنكر ، صيانة للنسل ، وحفظاً لحدود الرحمن تعظيماً له ، وإكباراً لما أمرنا به من التزام الخلق العظيم، لأن الإنسان مكرم لسيطرة العقل على شهواته ، واعتداله بين ما تتطلبه الروح والجسم ، لأن انطلاق الشهوات قتل للنفوس ، وهدم لأسس الاجتماع ، ونهبة الأمر إباحية لا تبقي ولا تذر . وفي كبح جماحها تكريم للنفوس وحفظ لها ، وبناء لأسس الاجتماع وتهذيب له ..

« والذين هم لفروجهم حافظون » . ولكي تبقى شجرة ذلك الإيمان في حرز من الجفاف والذبول .. لابد من اتصاف المؤمن بصفة الأمان ، إذا اؤتمن لم يخن بل يؤدي الأمانات إلى أهلها ، وإذا عاهد أو عاقد أوفى بعهده وعقده ولم يخالف . لأن الأمان والعهد والعقد التزامات تترتب في الذمة يجب إيفاؤها ، من دون إهمال ، لأن في ذلك زعزعة لمبدأ « الثقة » ونقض لدستور الفطرة السليمة « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . كما لا بد من صفة المواظبة على الصلاة في مواقيتها ، لأنه سئل الرسول (ص) يارسول الله ، أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة في وقتها . ثم أي ؟ قال : بر الوالدين . ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ؛ لأن المواظبة على الصلاة في وقتها دليل على تعلق القلب بها ومحبته إياها .. حتى تنقلب إلى قرة العين كما يقول الرسول (ص) .. وفي تعلق القلب بالصلاة ومحبته إياها .. امتزاج لطيف بمشاعر روحية سامية لا يدركها إلا العارفون « والذين هم على صلواتهم يحافظون » .

أيها الأخ الحبيب ..

إن نداء رن في أذني وينبئني « بأنك مشتاق لتكون من المؤمنين الفائزين في الدنيا والآخرة » لأن الفوز غذاء الروح وأن الإنسان قد جبل على حب الفوز والفلاح ، ولكنه كثيراً مايجهل سبيل الفوز وطريق الفلاح .. فيصد من سواء السبيل ، فتعالى معي .. وقلوبنا متعانقة .. وأرواحنا ممتزجة ، نتدبر آيات الذكر الحكيم ونتأمل فيها ، كي ترسم لنا سبيل الفوز ، وترشدنا إلى طريق الفلاح .. إنها تهمس في آذاننا ، وتقول : يلزمكم كي تكونوا من المؤمنين : —

١ — إيمان طافح مع خشوع قلبي ، في الصلاة . وحفظ لمواقيتها ومواظبة عليها

٢ — إعراض عن اللغو ، وترفع عنه ، وحب للحق والحكمة

٣ — أداء للزكاة ، إيفاء لحقوق السائلين والمحرومين

٤ — طهر كامل ، واجتناب للفحشاء وصيانة للنسل . وحرص على الشرف

٥ — رعاية للعهد ، والتزام للعقد ، وحفظ للأمانات

هذه هي سبيل الفوز — أيها الأخ المؤمن — فهل أنت مستعد لاتباعها وسلوكها ؟ « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

نور الدين الواعظ المحامي
كركوك — عراق

زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذي يوشك أن يضل .. والمجوبة للشعب الذي يأبى أن يموت .. »

« الزيات بك »

— ٥ —

انتقل مصطفى كمال إلى الأناضول .. مبعدا عن القسطنطينية ، وكان عليه أن يعمل على تسريح جيش الأناضول ، وحل جمعية الاتحاد والترقي ، بناء على رغبة السلطان وحيد الدين

وقد اشترط مصطفى كمال قبل انتقاله أن تكون له صفة رسمية ، وأن يكون تحت أمره فيلقان كبيران ، يتبعهما أربع فرق ، كما يكون له الحق في إصدار الأوامر والتعليمات للقرى المجاورة لمنطقته ، ولو لم تدخل في دائرة تفتيشه ، وكذلك الاتصال بجميع قوات وولاة الأناضول

ومع أن هذه الشروط أثارت دهشة وزير الحربية ، وجعلته يتردد في التوقيع ، إلا أن فكرة إبعاد مصطفى كمال عن القسطنطينية ، ونفيه إلى الأناضول كانت قوية ومستحكمة .. ولذلك وافق بعد طول تردد ، ومنحه الامتيازات التي أرادها لنفسه

* * *

وصل مصطفى كمال الأناضول في اليوم التاسع عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٩ م ، وهو اليوم الذي يعتبره مؤرخو النهضة بداية للحركة الكمالية ، ثم بداية للعهد التركي الحديث

وكان مصطفى كمال قد حزم أمره على البقاء في الأناضول إلى أن تظفر الأمة باستقلالها ، لذلك بادر بالاتصال بالقواد والولاة اتصالا برقيا ، وأخذ يبث في نفوسهم روح الثورة ، ويعمل على تأليف مؤتمر وطني للنظر في أحوال الأمة التركية ، ولكن السلطان لم يقبل تأليف مثل هذا المؤتمر ، فقابل مصطفى كمال ذلك بالاستقالة من السلك العسكري ، وحمل لواء الجهاد كزعيم قومي ...

وفي اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ م وقع ميثاقا يقضي بمواصلة الحرب إلى أن تتحرر أرض الوطن من العدو الدخيل ، فانضوى تحت لوائه كل من دبت في قلوبهم الحياة ، وانبعثت من نفوسهم الحمية والغيرة على الوطن التركي الذليل !

وكانت أهم القرارات التي أصدرها المؤتمر الوطني .. « أن جميع أجزاء الوطن بحدوده القومية كل لا يتجزأ ، وأن تكافح الأمة ضد أي احتلال أجنبي ، وتستمر في كفاحها في حالة انحلال الدولة العثمانية ، وأنه إذا عجزت الحكومة العثمانية عن الدفاع عن استقلال الوطن ، فتؤسس حكومة مؤقتة في الأناضول لهذه الغاية ، وهذه الحكومة تختار من قبل المؤتمر الوطني .. وإذا لم يكن منعقدا ، فمن قبل هيئته التمثيلية .. »

ولذلك لم تمض فترة طويلة على قرارات المؤتمر ، حتى أقام حكومة جديدة ، واتخذ « أنقرة » عاصمة له ، وأعلن انفصاله عن السلطان

حينئذ أصبح مصطفى كمال — صاحب السلطة المطلقة ، فهو رئيس الحكومة الجديدة ، وقائد جيوش المقاومة ، وعليه يتوقف استقلال البلاد

وفي هذه اللحظات التي كانت البلاد أحوج ما تكون فيها إلى توحيد الجهود ، وجمع الصفوف .. أخذ السلطان يقاوم مصطفى كمال مقاومة فعلية ، فاستصدر فتوى أعلن فيها عصيانه وخيانته للسلطان .. وطبع منها آلاف النسخ ، وألقى بها من الطائرات في جميع أنحاء الأناضول ، وكان لهذه الفتوى أثران كبيران :

أحدهما من جانب الشعب الذي بدأ يتخلى عنه ، والآخر من جانب اليونانيين الذين أرادوا أن يوسعوا منطقة احتلالهم ، فأخذوا في التقدم والهجوم شرق ولاية أزمير ..

كان الموقف فى غاية الحرج ، والبلاد تحيط بها الأخطار من كل جانب ، لكن مصطفى كمال أظهر قوة وحزما وثباتا ، واستطاع فى نهاية الأمر أن يوحد قوى الأمة ، ويستعد للنضال من جديد

* * *

تقدم اليونانيون تقدما سريعا فى بلاد الأناضول ، فوقعت فى أيديهم كوتاهية وأفيون قره حصار ، وأخذت جيوشهم تتقدم قاصدة إسكى شهر ، حيث يعسكر الجيش التركى ، وكانت خطتهم تقضى بمحاصرة الجيش ومحاولة إفنائه ، حتى يستطيعوا الوصول إلى قلب الأناضول ، والقضاء على حركة المقاومة فى أنقرة ذاتها . .

وحينما شعر عصمت — قائد الجيش — بالخطر الذى يهدد البلاد ، بادر بالاتصال بمصطفى كمال ، ليتولى بنفسه قيادة الجيوش ومحاربة اليونانيين

فلما وصل مصطفى كمال أخذ يدرس الموقف دراسة تامة ، ثم أصدر أمره فى النهاية بإخلاء إسكى شهر ، والتراجع إلى الوراء ثلاثمئة كيلومترا والوقوف عند نهر سقاريا ، وقد كان لهذه الأوامر صدى كبير فى نفوس أفراد الشعب ، فبدأوا يغادرون أنقرة خوفا من تقدم الجيوش اليونانية ، كما لاقى مصطفى كمال معارضة شديدة من جانب نواب المؤتمر

وبعد فترة قصيرة بدأت المعارك من جديد ، واستمرت أربعة عشر يوما ، أظهر فيها الأتراك قوة وثباتا ، وكان يقال عن مصطفى كمال « إنه كان يعمل وكأنه صيغ من حديد ؛ وكان ينام أقل الوقت . . كما كان يجلس أكثر وقته إلى مصوراته الجغرافية ، وإلى ضباطه يعمل معهم فى جلد لا ينفد »

وقد كان لجهوده الجبارة وخططه البارعة أثر كبير فى ضعف قوى اليونانيين ، وتراجعهم من المدينة ، مما جعل الناس فى كل مكان يهتفون بحياة الزعيم ، ويطلقون عليه منذ ذلك الحين لقب « الغازى »

ولم يكن هذا النصر ليكفى مصطفى كمال ، لأنه عقد العزم منذ البداية على أن يخلص البلاد نهائيا من اليونانيين ، ويشهد العالم والتاريخ على أن دولة الظلم لا تدوم ، وإن طال الأمد

استمر مصطفى كمال يواصل عمله ونشاطه ، فجند جميع الشبان القادرين على حمل السلاح ، واتفق مع فرنسا وروسيا ، حتى يضمن جانب الدول الكبرى . وفى ذلك الوقت حدثت سلسلة من الكوارث والاضطرابات فى داخل اليونان ، كان لها رد فعل فى الجبهة الآسيوية ، فلم يعودوا قادرين على الوقوف أمام الأتراك

وما كان للجيش اليونانى أن ينتظر عونا من الحلفاء ، بعد أن خرجت الدول الكبرى من الحرب ضعيفة محطمة ، وبعد أن اتفق الفرنسيون مع الأتراك

ولهذا ترك اليونانيون بمفردهم يجابهون العاصفة ، ويواجهون جيش المقاومة . وفى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٢ م ، أقام الزعيم مباراة كبرى لكرة القدم ، اشترك فيها رجال الجيش ، وأعلن أنه ذاهب لحضور المباراة ، وكان فى الواقع ذاهبا لإصدار أوامره لقواده وضباطه .. وعاد إلى أنقرة ، دون أن يثير الشبهات

وفى اليوم الرابع والعشرين من أغسطس .. دعا رجال أنقرة إلى حفلة راقصة .. استمرت طول الليل . . وأخبر ضيوفه أنه مهمك فى عمل هام .. ثم خرج من البيت قاصدا ميدان القتال ! وما هى إلا ساعات حتى اخترق الأتراك خطوط قوات الاحتلال .. وشطروها شطرين .. وكان مصطفى كمال يتنقل من فرقة إلى فرقة مشجعا الجنود وضاربا لهم أروع الأمثلة فى الجهاد غير عابئ بسيل الرصاص ينهال حوله من كل جانب .. وفى النهاية انجلت المعركة وانتهت بهزيمة اليونانيين ، وفرار البقية الباقية منهم إلى أزمير — وقد أصدر مصطفى كمال أوامره إلى الأتراك قائلا لهم :

« أيها الجنود — إن هدفكم هو البحر الأبيض — فإلى الأمام — »

واستمر يتتبع الجيش الهارب حتى قضى على معظمه .. وقد أنقذت سفن الحلفاء عددا كبيرا من المسيحيين الذين فروا أمام الجيش التركى المنتصر

ومنذ ذلك الوقت لم يبق فى تركيا كلها يونانى واحد ، وأصبح الأتراك وجها لوجه أمام الحلفاء الرابطين فى المضيقين ،

وتأهب العالم لرؤية ما سيكون ، ولـكن سادت روح التبصر والحكمة والاعتدال فى اللحظة الأخيرة ، ووقع الطرفان شروطا للصلح تقوم على أساس استقلال الوطن التركى ، وتخلى الحلفاء عما تمسكوا به من منع الأتراك من استرداد حكمهم فى أوروبا

• • •

وهكذا استطاعت تركيا أن تحصل على اسـتقلالها بفضل جهاد زعيمها العبقرى « مصطفى كمال »

ولم يكتف الزعيم بذلك، بل ألغى السلطنة والخلافة، وأعلن الجمهورية ، وقام بسلسلة من الاصلاحات الجريئة ، التى أعطت لتركيا مظهر الدولة المتمدينة ، والتى جعلت « مصطفى كمال » علما من أعلام الترك ، وزعيما نهضتها الحديثة

عبد الباسط محمد حسن

نساء عرفن فى زمن النبى

للأستاذ ناصر سعد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

ومن هؤلاء النسوة هذه المرأة الفذة أم عمارة نسيبة بنت كعب العامر قلبها بالإيمان وحب الله ورسوله والدين الحنيف ذهبت هى وابناها عبد الله وحبيب من زيد بن عاصم وزوجها غزية بن عمرو فاشتركوا مع المسلمين فى وقعة أحد وشدت نسيبة ثيابها على وسطها تسق الجرحى. ولما انهزم المسلمون أتت النبى وصارت بين يديه تدافع هى وذووها عنه بالسيف والقوس ، ولما جاء ابن قيئة المشرك يريد قتل النبى (ص) كانت أم عمارة مع من اعترضوه وردوه فضربها على عاتقها ضربة مبرحة — قيل وقد أصيبت أم عمارة هذه ذلك اليوم باثنى عشر جرحاً من سيف أو رمح أو سهم . ويكفيها فخرا أن الرسول أثنى عليها وقال : — (لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ، ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى) هكذا كانت المرأة المسلمة عامرا قلبها بالإيمان لا فرق بينها وبين الرجل إن سلما وإن حربا . وكم فضل النبى من أمثال نسيبة على الرجال عندما كان يتكلم السيف والرمح ! فأين المسلمات اليوم من أخواتهن فى ذلك العصر ؟

وهذه رفيدة أو — كعيبة — بنت سعد بن سعد الأسلمية التى بنت خيمة فى مسجد النبى فى غزوة الخندق وعرفت الخيمة باسمها، كانت تأتى بالجرحى إلى خيمتها فتعالجهم وتخدمهم وتصلح من شأنهم . كانت كرئيسة ممرضات تدير مستشفاها ذاك .. فما أعظمها من امرأة بارة بأخواتها المسلمين المحاربين وما أرحمها بهم، تسهر وتنصب فى توفير العلاج وتدبير الراحة لهم ! ومثل هذه المرأة يجب أن تكون قدوة للمرأة الحديثة التى يجب أن يهزها الغيرة على الوطن والإيمان بحبه فتنخرط فى سلك المتطوعات الرفيهات عن الجنود فى سوح الوغى ، والمرأة الغربية وإن كانت قد برزت نساء العصر الحديث فى هذا المضمار فالعربية قد سبقتها بأشواط وأشواط منذ أقدم الأزمان

ومنهن بنانة امرأة الحكم القرظى كان زوجها اليهودى من ألد أعداء النبى (ص) فهو بعد العهود والمواثيق التى أبرمت بين النبى واليهود فى المدينة حرض امرأته تلك ، إذ أشار عليها بأن تلق رحى من حصن الزبير بن طابا اليهودى على جماعة من المسلمين كانوا يستظلون بفيئه فشدخ رأس خلاد بن سويد فأمر النبى بقتلها وقتل كل من أنبت من ذكور اليهود ، هذه المرأة كان عملها هـذا من جملة ما أقلق بال النبى وأدى إلى إعلانه الحرب على اليهود الذين نقضوا العهود فاسـتحقوا غضب الله ورسـوله

ومنهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط أسلمت بمكة وهى شابة لم تتزوج بعد، وكانت تخرج ببادية لها بها أهل ثم تعود لبيت أبيها ، فلما اشتاقت إلى اللحاق بالمهاجرين فى المدينة خرجت على عادتها كأنها تريد أهلها بالبادية فرآت راكبا حكت له أمرها وشوقها إلى معقل المسلمين فأركبها بعيره وسار بها حتى أوصلها المدينة فدخلت على أم سلمة زوج النبى (ص) فأخبرتها بما جرى لها خائفة من أن يردها النبى لقومها حسب شروطه وعهوده مع

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ١ —

منذ عام نزل الشاعر العراق الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري ضيفا كريما على مصر ، وقدمته الصحف المصرية إلى قرائها تقديما ينبئ عن مكانته الأدبية الممتازة في عالم الشعر ، وكنت أقابل كثيرا من الأدباء والمثقفين في ربوع وادي النيل ، فأجدهم لا يروون شيئا من قصائد الشاعر العراق، ويتطلعون في لهفة وشوق إلى أثر من آثاره فلا يجدون ، إذ أن الصحف المصرية لم تنشر له قبل ذلك ما يصله بالقراء والمتأدبين . وأذكر أني فتشت في كثير من مجلاتنا الأدبية فلم أعثر على شيء يذكر ، إذا استثنيت ثلاث قصائد نشرت في آماد بعيدة متفرقة بأبولو والرسالة والكاتب المصري . وزاد الطين بلة أن الكاتب الفاضل الأستاذ عبد الخالق طه قد نشر بمجلة الثقافة الغراء (يونية سنة ١٩٥١) مقالين كبيرين عن الشاعر العراق ، فأعطى القراء عنه فكرة غير تامة ، إذ اعتمد في بحثه على ديوان الشاعر الصادر في أوائل سنة ١٩٣٥ مع أن الجواهري لم يبرز في مضمار الإبداع إلا بما قاله بعد صدور هذا الديوان من قصائد عامرة ممتازة تحتل مكانها اللائق في الأدب والتاريخ . وكأن الكاتب قد أحس بتقصيره فوعد القراء أن يطالعهم ببحث جديد عن الشاعر في عهده الأخير ، ومضى أكثر من عام دون أن يفي الأديب بما وعد؛ فرأيت لزاما على أن أقدم الشاعر للقراء من جديد

وقد طرق الجواهري أبواب الشعر فنظم في الغزل والرثاء والوصف والسياسة والاجتماع ، غير أنه تبوأ مكانته الأدبية بقصائده السياسية التي عبرت تعبيرا صادقا عن مشاعر العرب في شتى بقاع العربية . والحق أن الشعر السياسي قد ارتفع على يده إلى قمة عالية أعادت إليه سابق مجده في مطلع هذا القرن، حين كان حافظ ونسيم والمصري والكاشف ومحرم وعبد المطلب في مصر،

أهل مكة قبل الفتح وكانت قريش قد نقضتها مرارا فلما رآها النبي رحب فيها ثم نزل بها من القرآن آية الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) ولما جاءها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة لم يعطها النبي إياهما مستندا على نقض قريش العهود فبقيت أم كلثوم في مكة حتى تزوجها فيما بعد زيد بن حارثة

ومنهن أميمة بنت بشر الأنصارى زوجة حسان بن الدحداح القرشي المشرك المعادي لرسول الله (ص) لما رأت أن عز الاسلام ارتفع وأن أهلها أسلموا بالمدينة وهي في مكة مع زوجها فرت منه وأتت المدينة مشتاقة إلى الاسلام فلما وصلت هم النبي بأن يردها إلى زوجها لولا نزول آية الممتحنة تلك التي نزلت بحق أم كلثوم بنت عقبة التي مر ذكرها فزوجها الرسول مسهلا ابن حنيف فولدت له عبدالله بن سهل

وهذه زينب ابنة الحارث أخت مرحب الفتاة اليهودية التي حفزها البغض والحقد والطلب بالثأر فعملت شاة وسمتها وأتت رحل النبي عندما كان بخيبر فلما جاء النبي رحله قدمت الشاة له وهو لا يعرفها فجلس هو وأصحابه ليأكلوا فمد يده الشريفة إلى ذراع الشاة فأخذ شيئا منه فلما مضغه وابتلعه وعرف ما به أمر من كانوا معه بالكف عن الأكل وقال : — (كفوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة) ولما مات بشر بن البراء من السم أمر النبي بإحضار زينب وقال لها :— (سممت الشاة؟) قالت : — (من أخبرك ؟) قال : — (الذراع) قالت : — (نعم) قال : — (فما حملك على ذلك ؟) قالت : — (قتلت أبي وعمي وزوجي ونلت من قومي ما نلت فقلت إن كان نبيا فستخبره الشاة وإن كان ملكا استرحنا منه) فقتلها النبي . قيل ولما مرض مرضه الأخير (ص) قال : — (مازالت أكلة خيبر يصيبني منها عداد حتى كان أوان أن تقطع أبهري) وقبضه ربه إليه متأثرا من ذلك السم . كتبنا إليك هذا أيتها المرأة المسلمة كي تتخلق بأخلاق الخيرات المسلمات اللواتي كن يثمر الإيمان قلوبهن فضحين لدينهن كل غال ورخيص

العراق ناصر سعد

والزهاوى والرصافى والكاظمى فى العراق، يهزون الشاعر هزا عنيفا بما يبدعونه فى هذا المضمار، فلم تكن تمر حادثة كبيرة أو صغيرة إلا رأيت لها صدى قويا يبثه الشعر السياسى فى النفوس، وقد نضطر إلى إيجاد فارق هام بين ما قاله شعراء العراق فى الميدان السياسى وما قاله شعراء مصر، فأولئك كانوا قادة جماهير، وموجهى نفوس، بقصائدهم الحماسية، وهؤلاء كانوا صدى لما يتجاوب فى الميدان السياسى فحسب، فهم ينظرون إلى اتجاه الشعب وميوله ثم يعبرون عن مشاعره، دون أن يسبقوه بإيقاظ وتوجيه، وقد بقى هذا الفارق إلى يومنا هذا، فهناك فرق شاسع بين ما يقوله الجواهرى فى قصائده السياسية، وبين ما نطالعه لشعرائنا المصريين فى الأفق السياسى على قلته وندرته، بل أخشى أن أقول إن الشعر السياسى قد مات موتا على يد هؤلاء الهائمين فى آفاق الخيال، ومتاهات الذهول. ولولا كارثة فلسطين وحوادث القتال الدامية لما سمعت لهم شيئا يذكر على الإطلاق. وسيجد القارئ لشاعر العراق سبقا ظاهرا حين يستعرض خرائده الجياد، ونحن نجمل هنا الحديث عنه فى أغراض محدودة، كيلا تتشعب بنا الدراسة إلى مناح شاسعة لانستطيع أن نحيط بعوالمها الرحبة الفسيحة، ونبدأ أولا بالحديث عن فلسطين الشهيدة! فأساتها الفاجعة أحرى بكل تقديم

لا جدال فى أن فلسطين قد هزت عواطف العرب هزا عنيفا، فترقرقت دموعهم حارة ملتهبة، واتقدت جذوات الحزن والحسرة فى جوانحهم المشتعلة، وقام الشعراء فى شتى الحواضر العربية بتخليد المأساة واستنهاض الهمم، وقد طالعت أكثر ما قيل فى هذه الكارثة الدامية، فوجدت ما ينبئ عن صدق الشعور، ولوعة الإحساس، فى طراز باهت لا يخرج عما قيل منذ قرون فى مأساة الأندلس، وكأن الشعر قد رجع بأصحابه إلى الوراء فلم يتقدم خطوة واحدة، عما كان عليه منذ ضياع هذا الفردوس البهيج، فقصارى كل شاعر أن يسترجع ويولول دون أن يشرح البواعث الأصلية للنكبة، ويحلل الكوامن القتمة من وراء الحجب والأستار، وقد ربأ الجواهرى بأدبه أن يقف عند الصراخ والعويل، فاندفع ينقب عن الصلال الخبيثة التى نهشت هذا العظم الرميم، ونفثت سمها القاتل فى الجسم الهامد فخر صريعا لا حراك به. ورد النكبة إلى ثلاثة عوامل بارزة كانت السبب الحقيقى فى وقوع المأساة، وأقوى هذه العوامل إنجلترا الغادرة! فقد لبست ثياب الدهاء فأظهرت الوقوف على الحياد حاشدة وراءها جيشا عنيفا من الحقد والنفاق والابتسام! مغلفة أسرارها الخبيثة عن الأغرار من القادة والزعماء، وقد وجدت أمامها — لسوء الحظ — فريقا يهيم بحبها فى كل واد، وينزل على إرادتها فى كل مطلب، يهادن إذ تطلب الهدنة، ويحارب حين تدفع به إلى الخراب والوبال، وقد مد له فى الذهب اللامع، فملأ خزائنه وضاعت فلسطين شهيدة على يده، وهذه حقيقة مرة يفصح عنها الشاعر فى شجاعة ويقظة إذ يصيح

حماة الدار لولا هم غاو ... أساغ شرابه فرط التمادى
ولوغ فى دم الخل المصافى ... فقل ماشئت فى الجنف المصادى
ولباس على ختل وغدر ... ثياب الواقفين على الحياد
وخب لا يريك متى يوالى ... فتأمن شره ومتى يعادى
تطلع إذ تطلع فى رخى ... وتفزع حين تفزع فى جماد
ولولا نازلون على هواه ... سكارى فى المحبة والوداد
نسوا إلا نفوسهمو وهاموا ... غراما حيث هام بكل واد
أجرهمو على ذهب فجروا ... فلسطينا على شوك القتاد
وقادوها له كبش افتداء ... صنيع الهاربين من التفادى
لكنتم طب علتها، وكانت ... بكم تحدى على يد خير حاد

فإذا ترك إنجلترا الداهية وأذنابها الضعفاء، لجأ إلى العامل الثانى، فتساءل عن سر من أسرار النكبة فى رأيه، وجهر بالحقيقة سافرة حين أعلن أن هذه المنكوبة لم تضم بددا بحيلة ساحر، أو قضبة قدر لامرد له، ولكن لأنها — وأخواتها — مسترقة مستذلة قد خيم فوقها الثالوث الأشأم، فلم يبرحها الجهل والفقر والمرض، لحظة من اللحظات، وقد منيت جميعها بفريق من الطغاة، قضوا على المواهب العالية، وحاصروا العقائد والمبادئ، ووضعوا الأبرياء فى الأصفاد والأغلال، وقام فى كل قطر

شقيق حجاج طاغ يزيف إرادته، وزياد باطش يعصف بمحميه، بينما يملأ يديه من الذهب السائل، ويرسل شهواته مطلقة الأعنة، فلاتذر من شيء أتت عليه، ويفتح أبواب السجون لشهداء الرأى والوطنية والاستقلال، حتى خمدت النخوة العربية، وغرق الشرق العربي فى لجج الاستبداد والهوان ... ذلك ما يفصح عنه إذ يقول:

حماة الدار ما النكبات سر ... ولا شيء تلفف فى بجاد
ولا لغز يحار العقل فيه ... فيجهل ما شداس من أحاد
ولكن مثلما وضحت ذكاء ... ونور حاضر منها وباد
فما ذهبت فلسطين بسحر ... ولا كتب الفناء بلا مداد
وما كانت فلسطين لتبقى ... وجيرتها يصاح بها بداد
وست حماتها أخذت بجوع ... وجهل واحتقار واضطهاد
شعوب تسترق فما يبقى ... على أثر لهـا ذل الصفاد
تساط بها المواهب والمزايا ... وتحتجز العقائد والمبادى
وتطلع بين آونة وأخرى ... (بحجاج) يزيف أو (زياد)
فيذوى الخوف منها كل خاف ... ويصمى الجور منها كل باد
وتنهب البلاد، ومن بنيها ... يئوب الناهبون إلى سناد
وتنطلق المطامع كاشرات ... تهـدد ما تلاقى بازدراد
وتنطبق السجون مزمجرات ... على شبه وظن واجتهاد

والعامل الثالث فى رأى الشاعر هو ما لدى اليهود من منعة وعتاد، فقد جذبوا الرأى العالمى والصحافة العربية بما توفر لديهم من حذق وإخلاص، وقد تربوا تربية صالحة قوية، فحذقوا العلوم والصناعات، وساهمت المرأة لديهم فى البيت والمصنع والمعبد والقتال، فليس فيهم من فقير يستجدى الأكف، ولا ملق بقارعة الطريق تحمله أمه فى الكور بجهد جهيد، ولا زعيم خائن يغتصب المال والجاه على حساب الضحايا والأبرياء، ولا مماسيخ مشوهون قد حطمهم السغب والكلال !! هؤلاء جميعا لا يوجد أحد منهم لدى الأعداء، مع أننا لا نجد غيرهم فى جيوشنا الواهنة المتخاذلة !! فكيف تتعادل الكفتان !؟ وبتحقق الحال، هذا ما يصرح به الشاعر إذ يقول:

جيل تصرم مذ أبدى نواجذه
وعد لبلفور فى تهديدها قطعا
والساهرون عليه، كل منتخب
يبنى ويهدم إن أعطى وإن منعا
تهوى العروش على أقدامهم ضرعا
وتحتمى سادة الدنيا بهم تبعا
مررت بالقوم (شذاذا) فما وقعت
عينى على متمن غيره ضرعا
ولا بحاف وأهليه بقـارعة
ولا بحاملة فى الكور من رضعا
ولا بمن يحرس الناطور أرجلهم
مهروءة سهمات الكلب منتزعا
وعند سلعته تصغى البنون لنا
نقل — ونرخصها فى الأزمة — السلعا
وجدتها عندهم زهوا منورة
البيت والبحر والأسواق والبيعا
بينا تراقص بالأنغام صاحبها
إذا بها توسع الألغام مزدرعا
ونحن ما نحن! قطعان بعذابة
تساقطت فى يدى رعيانها قطعا
فى كل يوم زعيم لم نجد خبرا
عنه ولم ندر كيف اختير واخترعا
أطماعهـم وبهم فيما أعد لهم
من الولائم صفوا فوقها النطعا
كأسين، كأسالهم بالشهد مترعة
وللجماهير كأس سمها نقعـا
قتالة، خوف ألا تستاغ لهم
أوصاهم أن يسقوهم بها جرعا

وينطلق الشاعر فى الحديث من هؤلاء المتزعمين! وكيف زودهم الاستعمار بوصاياه الخارقة، فصبوا على الشعوب كؤوس الصاب مترعة بالسم الناقع، وقد أدركوا بعض الحذق، فلم يصبوا الكأس مرة واحدة، فتقضى على الشعوب القضاء السريع،

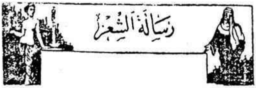
بل ساقطوا الجرع السامة نقطة نقطة ، ليأخذ وقتا طويلا فى التنويم والتخدير ، بينما أعدت لهم كأس مترعة بالرحيق السلسال فنهلوا منها وعلوا كما يشاءون ، وليس الزعماء جميعا طرازا واحدا ، ففيهم من خلصت نيته وكان قصاراه أن تدمع عينه ثم يمسح دموعها بمنديله الرقيق !! وهو على إخلاصه لا يرضى الشاعر ! إذ يريد المتحفز الوثوب الكاشر الصائل ، وأنت تعجب له حين يدعو فى مطلع قصيدته إلى اليأس ، فيخلق له الحسنات المتتابعة ، فهو ذو حد يقف لديه الأمل الحالم ، وهو مصحر الأرجاء لا يمد الظل على اللصوص والأوشاب !! ولكن أى يأس ذاك ؟ ! إنه اليأس من الوعود الكاذبة ، والآمال المزعومة ، إنه اليأس الذى طوح بالباستيل فاقتلعه من أغواره ، وقذف بطارق إلى النصر بعد أن حطم سفينه ، ووقف من وراء البحر ، وأمام العدو ، فكان لابد من النصر فى تلك الحنادس الحالكات

وإن من حسنات اليأس أن له ... حدا إذا كل حد غيره قطعا
وأنه مصحر الأرجاء ، لا كنفا ... لمن يلص ولا ظلا لمن رتعا
اليأس أطمع بالأشلاء مفصلة ... عدلا وطوح بالباستيل فاقتلعا
وطارق منه أعطى النصر كوكبه ... نزرا وعدى إلى الإسبان فاندفعا

ورغم الظلمة الداجية التى تكتنف الشاعر فى حديثه عن المأساة ، ورغم شعوره بالعلل الأصيلة للنكبة ، وإلمامه بالأوضاع الشائنة التى جلبت هذه الكارثة المروعة ؛ رغم ذلك كله يتعلل بالنصر القريب — بعد أن يئس من الوعود البارقة — ويعد خيوط الأمل للشباب المتوثب ، ويدعو إلى المهات فى سبيل الحياة المرتقبة ؛ ويفسح الصدور للرصاص ، ويحذر من الخوف والخور والقنوط ، كما ينتقل بريشته الملهمة إلى طبيعة فلسطين ، فيصور الفجر المترقرق فوق الروابى الخضر كوشاح فضى لامع ، ويحمل إلى القارىء أنفاس الروح العاطرة ، ويسمعه ألحان الوحى فى مهابطه المقدسة ؛ وغناء داود مع الطيور فى أورشليم الحالمة ؛ ثم يدعو الشباب الفلسطينى المكافح إلى الاعتماد على نفسه ؛ فالشعوب العربية لا تجيد غير العويل والبكاء ؛ فهى تدق من الأسى راحا براح ! ويدا بيد ! ثم تقف عند ذلك !! فإن تجاوزته فإلى الخطب الرنانة والقصائد الملتهبة ؛ ولن تجد أوجع من الحقيقة المريرة يعلنها الشاعر صريحة سافرة فيقول من قومه فى يأس واكتئاب

أأم القدس والتاريخ دام ... ويومك مثل أمسك فى الكفاح
فلا تتخبطى ، فالليل داج ... وإن لم يبق بد من صباح
ولا تمنى بدنيا إنا بكاة ... نعدك بالعويل وبالصياح
ولا تمنى بنا ، فالقمل جو ... مقيم عندنا والقول صاح
وإن تجدى كأيانا نصيرا ... يدق من الأسى راحا براح
ولا قوما يردون الدواهى ... وقد خرست بألسنة فصاح

(يتبع) محمد رجب البيومى



موشح

اللؤلؤ المنحدر

للاستاذ محمد زكى الدباغ

زارنى والليل فى طارته
ومحيا البدر من غرته
يتجلى الحب فى نظارته
قمت أستقبل عندى قمرا يزدرى فى برده بالقمر

• • •

خائفا لاذ بصدرى ورنا
خلفه — من خشية الواشى بنا
خافق القلب اضطرابا وأنا
خافق القلب عليه حذرا وسرورا باللقا والظفر

• • •

كلما البدر علينا طلعا
خبأ الوجه بصدرى جزعا
وإذا تغريد طير سمعا
أتلع الجيد ومد البصرا متبعا أوهامه بالنظر

• • •

يحسب النجم عيونا تنظر
ونسيم الروض عينا يخطر
وإذا صبرته — لا يصبر
وهو إن يأنس قليلا نفرا وبكى باللؤلؤ المنحدر

خده الشرق حسنا وجمالا
شب جمر الوجد فيه فتلالا
كلما قبلته زاد اشتعالا
أتراه فى فؤادى استعرا أم فؤادى منه فى مستعر

• • •

ياحبيبى ما الذى قد أفزعك
أنت فى ثوب الحيا ماأبدعك
عادت الأفراح للروح معك
فابتسم لى فالهناء استترا فى ثنايا الكوثرى العطر

• • •

مل على صدرى فالغصن يميل
ألصق الخد بخدى يا جميل
واسقنى من مرشف كالسلسبيل
ذوب شهد فوق قلبى قطرا كالندى يقطر فوق الزهر

• • •

وإذا ما الثغر بالثغر اتصل
هز أوتار فؤادى بالقبل
واستمع منه أغاريد الأمل
فهو قيثار غرام طهرا مطرب اللحن شجى الوتر

• • •

زال عنه خوفه فابتسما
وبدا فى وجهه ما كتما
فاقتسمناها وكانت نعما
قد حلت وردا وطابت صدرا لم يشبها غير بعض الخفر

محمد زكى الدباغ



السقامات ..

قصة طويلة ليوسف السباعي

للاستاذ كارنيك جورج ميناسيان

لعل الأستاذ السباعي من أكثر الأدباء المصريين إنتاجاً . فهو ينتج بمعدل أربعة كتب في العام الواحد عدا القصص القصيرة الأخرى التي يكتبها للصحف . ونحن لا نحاسب الكاتب على كثرة نتاجه أو قلته ، وإنما نحاسبه عن النتاج نفسه ، وعن قيمته الفنية والأدبية والاجتماعية

لو تأملنا كتابات السباعي السابقة ثم تأملنا كتابه الأخير لوضعنا الكتب السابقة كلها في كفة ، وكتاب السقامات في كفة أخرى . ! فالكاتب في كتبه السابقة كان يتأرجح بين أساليب شتى . لا تربطه صفة واحدة ، ولا تميز مؤلفاته أسلوب خاص ! كان يكتب لمجرد الكتابة . كان يكتب كي يمد (مسامرات الجيب) بقصة كل أسبوع ، ولا شك أن هذا (الروتين) في الإنتاج الأدبي قد يجعل الكاتب يغض النظر عن القيم الفنية بعض الشيء ، فيحصر اهتمامه في إعداد قصة قبل الوقت المعين !

أما في (السقامات) فقد ظهر للقارئ بأسلوب مميز خاص . وبقلم الكاتب المتمكن المتعمق . فالكتاب يقع في أكثر من خمسمائة صفحة من القطع المتوسط . فليس تأليفه إذن من السهولة بمكان ! فالشوط الطويل الذي قطعه السباعي قد تقصر دونه الأنفاس ، وتكل الأيدي ، وتجهد الأذهان ؛ لكن أنفاس السباعي لم تقصر ، ويده لم تكل ، وذهنه لم يجهد ! فقد مضى بكل اعتداد، وبكل جرأة ، وخطا الخطوة الأولى .. حتى انتهى إلى الخطوة الأخيرة . ومن هذه الناحية استحق كل إعجاب

نعود إلى الكتاب فنتأمله بعين فاحصة ، فنراه يشمل قصة محلية ، من الجو المصري القديم . قصة شبيهة بقصة (زقاق المدق) لنجيب محفوظ . من حيث البيئة ، وتعدد الأبطال ، والفكرة المستترة وراء الحوادث .. وهي إعطاء صورة صادقة للجو المحلي القديم في مصر . فالقصة قصة بيئة. لا قصة أسرة . قصة جماعة من الناس جمعتها الحياة في صعيد واحد ، ولونتها الحياة بلون واحد . فكل أفرادها من الطبقة الفقيرة التي تكدح طول النهار ، ولا تكاد تظفر باللقمة التي تشبع !

لقد حاول الكاتب محاكاة نجيب محفوظ ، كما هو واضح في رسم الشخصيات ، ولكن محاولته لم تنجح مثل نجاح محفوظ . فهو في بداية قصته تطرق إلى شخصيات كثيرة ، حشرها ضمن محور القصة ، وجعلها من أبطالها الأولين ، كما فعل محفوظ . لكنه لم يكد يخطو خطوات ، حتى ترك أكثرها في حالها .. واقتصر على قسم منها محدود ! في حين نرى محفوظ لا يترك شخصية واحدة تفلت من نطاق قصته .. إنه يسيطر عليها سيطرة تامة ، فيحصرها حصرا ، ويجعلها في القصة ذات أثر فعال

مجمل القصة : السقا شوشة يعيش مع ولده وأم زوجه المتوفاة ، عيشة راضية ، وهو إذ يتغدى ذات مرة ، عند (الحاجة زمزم) المرأة المخيفة ! يصادق (شحاته أفندي) الذي كان قد جاء إلى (مسمط زمزم) ليأكل على الحساب .. بناء على دعوة من الحاجة اعتبرها دعوة حب .. وغرام ! كان جيبه فارغا ، فلما فقد كادت الحاجة زمزم تجرده من ثيابه بعد أن عجز عن دفع ثمن ما أكل . فتدخل شوشة في الموضوع ودفع الثمن منقذاً الأفندي من براثن الحاجة ! وبعد ذلك نرى شحاته الذي يعمل في توديع الأموات إلى قبورها يعيش مع شوشة ، كما نراه يأخذ شوشة إلى قهوته ، ويعرفه بأصحابه ويبسط له مهنته . ! حتى ينام شحاته أفندي ذات يوم على أمل أن يستيقظ فيذهب إلى موعد غرامي اشتراه بخمسين قرشا من (تاجر الأعراض) الدباح ! ينام الرجل فلا يستيقظ ! لا يستيقظ أبدا . ولا يلبث المعلم شوشة أن يأخذ مكانه في المهنة ، مستعملا نفس البدلة التي كان يستعملها المتوفى ، لأنه يريد أن يتعرف إلى سر الموت ! الموت الذي خطف منه زوجه ، وتركه وحيدا محروما . وتقبل

عليه الدنيا فيرتقي إلى رئيس للسقايين . يتحكم في توزيع المياه على الزبائن ، ولكنه لا يترك مهنة التوفي . حتى يفاتحه ولده بخوارقه ، طالباً إليه أن يكف عن توديع الموتى ، فيعده الرجل ، لكنه في اليوم التالي لا يغادر فراشه ، فيحل ولده محله في توزيع المياه ! وما أن ينتهي من ذلك ويعود إلى أهله ، حتى يجد البيت قد انهار وقضى على أبيه ! فلا يلبث الابن أن يسرع فيرتدي بدلة شحاته أفندي ، الخاصة بمودعي الأموات .. فيمضي أمام نعش أبيه ليودعه القبر الأخير ، إنه أيضاً يريد أن يكشف عن الموت سره ..!

.. وتنتهي القصة والابن قد أصبح أبا ، وتربع على عرش المياه مكان أبيه ، وقد وضع بالقرب منه لافتة فيها هذه الآية الكريمة (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)

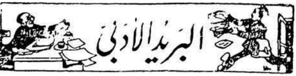
والغريب أن الكتاب يبدأ بهذه الآية وينتهي بها ، كما أنها تتردد في حوار القصة أربع مرات تقريباً دون أن يكون بينها وبين القصة صلة ما . لعل المؤلف يريد أن يعزي أبطاله ويمسح على مصائبهم وهم في غير حاجة إلى ذلك . فالآية مفروضة فرضاً محشوة حشواً ! فالصلة بعيدة بينها وبين مغزى القصة كما قلت ، فأين الصابرون ؟ بل أين الفواجع التي صبروا عليها ؟ الحوادث كلها بسيطة عادية . لا تدعو إلى الصبر ، لأنها توحي بالقناعة. وبالأحرى من أناس مثل أولئك الفاسقين الراضين ، وإن كان المؤلف قد افتعل موت الرجلين افتعالا ، إذ حرمهما الموت الطبيعي وذلك لم يتمكن أن يجعل أبطاله من الصابرين المؤمنين ، لأنه جعلهم يشعرون أن الموت جاء بالمصادفة وأن القدرة الخفية لا دخل لها فيه

لقد فاجأنا المؤلف بموت شحاته افندي في منتصف القصة وشحاته هو الوحيد الذي يسيطر على انتباه القارىء وجذب اهتمامه ، لأنه الوحيد — حتى ذلك الوقت — الذي كان يسعى إلى هدف فيجعل للقصة مسحة من التشويق ، فاجأنا بموته ، وبذلك ماتت عقدة القصة ، وتلاشى التشويق ، وكأنما انتبه الكاتب إلى خطئه ، فكشف للقارىء عن عقدة أخرى .. كانت مختفية عنه حتى ذلك الوقت ، ويشكل هذه العقدة شخصية شوشة .. الذي أخذ يسعى إلى كشف سر الموت واستجلاء أمده !

ولنا ملاحظة أخرى بشأن شحاته افندي . فقد جعل له المؤلف شخصية ماجنة عابثة تتأثر حين ترى أمامها امرأة . فهو يتغزل حتى في الحاجة زمزم ، الضخمة الخيفة . ثم عاد — المؤلف — وأسكنه مع المعلم شوشة ، ونحن نعلم أن هناك ، في أعلى شقة هذا الأخير تقطن أسرة (على الخشت) أن لهذه الأسرة فتاة ناضجة ، تتردد على أسرة شوشة فتساعد الضريرة أم آمنة فإذا ما نزل شحاته عند شوشة لم تعد ترى أثراً للفتاة ! وكان المتوقع أن يراها شحاته ، وأن تحدث بينهما أشياء .. ! فما الذي جعل الفتاة تختفي من مسرح الحوادث بمجرد ظهور شحاته ؟

وهناك أمر آخر . فإن شوشة بعد موت شحاته أخذ مكانه وصار هو الآخر من (الأفندية) يودع الموتى إلى القبر الأخير في وقت أصبح فيه موظفاً في تصريف المياه . أي أنه يجب عليه أن يعمل طول النهار في وظيفته ثم يزاول مهنة شحاته بعد ذلك أي عند المساء . وهنا بعض التناقض ، لأننا رأينا شحاته قد تأخر قليلا ذات صباح فزجره الحانوتي الرئيس ! فكيف لا يتأخر شوشة ؟ وهو لا يزاول هذه المهنة إلا ليلا ، مع العلم أن الموتى لا يدفنون إلا في النهار !

لقد اهتم المؤلف برسم شخصية (الحاجة زمزم) اهتماما كبيرا حتى جاء رسمه بليغا رائعا مثيرا ؟ فحسبنا أن لها أثراً كبيراً في القصة أو أنها هي البطلة الأولى فيها ؛ ولكننا وجدناها تختفي تماما من مسرح القصة ، ثم تعود قبيل النهاية ؛ عودة قصيرة ؛ تخيب آمال القارىء وهي مع ذلك عودة مفتعلة ! جاءت على إرسال الأب ابنه إليها ليطالبها بالريال المتبقي له عندها ، لأنه لا يملك شيئا أبداً ! وهنا الكثير من الضعف ، لأن الأب قد أقبلت عليه الدنيا ، وأصبح رئيساً للسقايين . كما أنه يعمل سرا في دفن الموتى ، وأن الموتى كثيرون كما قال المؤلف ! وقد رأيناه في الليلة السابقة في الحمام مع ابنه يدفع المال بسخاء ، فكيف بنا نجده في الصباح خالي الجيب تماما ! كان الأوفق للكاتب ألا يكلف نفسه إعادة الحاجة زمزم ؟ وأن يجعل له حيلة أخرى لإبعاد الابن من أبيه كما يتهدم البيت وهو عنه بعيد !



في مقال لعميد الأدب :

نشرت « الأهرام » الغراء في عـددها الصادر في الخامس عشر من الشهر الجاري مقالا لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين باشا بعنوان « بين الأدب والصحافة » جاء فيه قوله « والغريب أنها — (ويعني الصحافة) — تقدم الكتب إلى القراء تقرظها حيناً وتنقدها حيناً آخر » وأقول : يقال في اللغة : نقد الدراهم وانتقدها : أخرج منها الزيوف، وماز بين الدرهم الزيف والدرهم الوازن غير المخلوط . وفي اللسان : النقـد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها. أنشد سيبويه :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدنانير (تنقاد) الصياريف

ونقد الكتاب : إظهار عيوبه ومحاسنه ، ومن ثم فلا وجه لقول عميد الأدب « تقرظها حيناً » لأن النقد — كما سبق القول — يشمل المحاسن والعيوب . قال الشاعر :

والموت (نقاد) على كفه جواهر يختار منها الجياد

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فأذكر أن المؤلفات العربية التي تعنى بالنقود قليلة ولا نعرف منها إلا أربعة : الأول للبلاذري في آخر مصنفه (فتوح البلدان) والثاني (رسالة في النقود الإسلامية) للعلامة المقريزي عني بنشره فارس الشدياق في مطبعته الجوائب . والثالث : هو الجزء العشرون من (الخطط التوفيقية الجديدة) لعلي باشا مبارك . والرابع : رسالة مخطوطة أشار إليها الأب أنستاس ماري الكرملي في كتاب (النقود العربية وعلم النميات) للامام العلامة المحدث المؤرخ تقي الدين أحمد بن عبد القادر المقريزي الشافعي ، وهو مطبوع في المطبعة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٩

والنميات : علم يستدل به على أنواع النقود والرصائع التي ضربت في أزمنة مختلفة وبلاد شتى ، وفي أيام ملوك وقياصرة وأباطرة متنوعة ، واحدها النمي . القاموس : « النمي : صنجة الميزان ... والفلوس أو الدراهم التي فيها رصاص أو نحاس . والجمع نمامي » . والرصائع — في اللسان — زر عروة المصحف . والرصيعة : عقدة في اللجام عند المعذر كأنها فلس ، وقد رصعه . والرصيعة : الحلقة المستديرة ، وسيف مرصع : أي محلى بالرصائع وهي حلق يحلى بها . الواحدة رصيعة

قال الفرزدق :

وجئن بأولاد النصارى إليكمو حبالى وفي أعناقهن «المراسع»

وبعد : فأذكر أن عميد الأدب كان دعا الأدباء والكتاب في مقاله (محنة الأدب) إلى أن يشقوا على أنفسهم في الدرس

وفي الكتاب بعض الأخطاء النحوية والإملائية التي لا إخالها إلا وليدة السرعة أو وليدة المطبعة. فقد جاء في (ص ٩٩) (... وكان الثلاثة ...) في حديثه عن ثلاث نساء ! وقد تكرر هذا الخطأ في (ص ١٠١) وفي (ص١٠٢) (كانت النساء الثلاث في الفناء تتجاذبن الحديث) وفي (ص ٤٦٧) (لم تشمره جدته ولا أبيه) !

وهناك أخطاء طفيفة لا تؤثر في قيمة الكتاب . ويجب ألا أنسى أن السباعي قد أبدع في (ص ٢٩٠) حتى (ص ٣٠٠) في الكلام من الموت على لسان شحاته أفندي ، فقد جاء ذلك الكلام مطابقا شخصية شحاته كل المطابقة

والكتاب بعد هذا يتأرجح بين العامية والفصحى . وهذا ما يؤكد أن الكاتب عاجز عن التعبير الكامل بالفصحى ، بالرغم من أنه يبرر مسلكه في المقدمة قائلا : (إن الغلبة — في الحوار — للعامية ، لأنه من المستثقل المعوج أن نحاول إنطاق أشخاص باللغة العربية في القصة ، وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها) . إنك يا أستاذ يجب أن تصور أولئك الأشخاص تصويرا فنيا ، لا أن تنقل أقوالهم كما هي ، فالفنان هو الذي يضيف على الحوادث المادية مسحة من الجمال والسمو، ولا يرضى أن ينقلها كما هي ، ولا أن يصورها كما تصور آلة التصوير المناظر الطبيعية

فرنيك جورج ميناسيان

على فرائد اللغة وأسرار البلاغة ، وها نحن نستمع إلى نداء الأديب العميد فنكتب كلنا ملبين الدعوة منتبهين إلى ما يحسن التنبيه إليه ، وهو سبق قلم . والسلام

عرفان

نسبة البيتين :

فى العدد رقم ٩٨٩ من الرسالة الغراء ١٦ يونيو سنة ١٩٥٢ يكتب حضرة الأستاذ الفاضل عبد القادر رشيد الناصري يطلب منى أن أشير إلى المصدر الذى استقيت منه نسبة ما يأتى للحسين الخليع فى كتابى نديم الخلفاء

بأبى من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه على وداعا

فقد جاء فى شرح العكبرى لديوان أبى الطيب المتنبي وفى جميع دواوين المتنبي نسبتها للمتنبي وقالها ارتجالا فى صباه

وقد تفضل حضرة الأستاذ الكريم عبد القادر الناصري فهنأنى وحيانى مبديا إعجابه بكتابى وإنى أشكر لحضرة الأخ الفاضل هذا التقدير وأحيي فيه ذلك الشعور النبيل نحو المؤلفين .
لا أنكر أن البيتين نسبا للمتنبي فى المصادر السابقة وهى فى حقيقتها مصدر واحد هو ديوان المتنبي، أما المصدر الذى نسبهما للحسين بن الضحاك فهو زهر الآداب ج ٣ ص ١٦٣ . وعلى الرغم مما راجعته من مصادر لم أجد ما يرجح نسبة البيتين لأحد منهما ، وقد اعتمدت نسبتهما للخليع لأنه أولا أسبق، والغالب أن ينسب للاحق ما هو للسابق ثانيا، أنهما لرقتهما للخليع أقرب ، وثالثا لأن شعر الحسين . بن الضحاك شاع أكثره ونسب إلى غيره من شعره كثير . ومشكلة تنازع الأبيات فى الكتب الأدبية تحتاج إلى دراسة طويلة وجهود ضخمة وعلى الأخص كل ما فيه « قال الشاعر ، وقال آخر ، وقال غيره ويقول القائل .. الخ »
ومن أمثلة التنازع هذه الأبيات :

لا وحبيك لا أصافح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استراح وإن كان موجعا
كبدى فى هواك أسقم من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى فى للسقم موضعا

نسبت فى الأغانى ومعجم الأدباء وابن خلكان ومسالك الأبصار للحسين بن الضحاك ، ونسبت فى مصارع العشاق ص ٤٢٥ لأعرابى ونسبت فى زهر الآداب ج ١ ص ٢٥٠ إلى محمد بن يزيد الأموى

وكنت أحسب أن وجود البيت أو الأبيات فى ديوان يقطع بصحة بنسبتها إلى صاحبه ، ولكنى وجدت مثلا هذا البيت

فلو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

نسب فى الأغانى ج ١٣ ص ٣٥ إلى عبد الله بن الزبير الأسدى وهو شاعر أموى ، وفى شرح ديوان زهير بن أبى سلمى أن نسخته انفردت بنسبته إلى زهير وهو أقدم من سابقه ، ونسب لبكر بن النطاح فى شرح ديوان أبى الطيب للواحدى ص ١٩٨ ودلائل الإعجاز ص ٣٨٧ والإبانة عن سرقات المتنبي ص ٤٦ والوافى بالوفيات المجلد الأول من الجزء الثالث وفوات الوفيات ترجمة بكر بن النطاح، ونسب فى كتاب التحف والأنوار ص ٧٦ لدعبل.. أما فى شرح المضنون ص ١٥٦ ومسالك الأبصار ج ٩ وديوان أبى تمام فقد نسب لأبى تمام هذا، ودعبل وبكر بن النطاح متعاصران ومات أبو تمام قبل دعبل وولد بعده وهم جميعا عباسيون. وهناك من أمثاله كثير ولا يخفى ذلك على الأستاذ الفاضل عبد القادر الناصري . وأكرر شكرى له وتحياتى وتقديرى

عبد الستار أحمد

خطأ نحوى

نشرت جريدة « الراية » الموصلية الغراء قصيدة مزدوجة القوافى للسيد زكى الجادر فى العدد « ٢٩ » من سنتها الأولى منها هذان البيتان

إيه يا زهرة الحياة مضى الأ مس فكنا من بعده عشاق
جئتك اليوم فى فؤادى حنين وبعينى لهفة واشتياق

فقافية البيت الأول منصوبة لأنها خبر كان، وقافية البيت الثانى مرفوعة معطوفة على لهفة وهى مرفوعة. وهذا مثل من التجديد فى الشعر العراقى الذى تدعو إليه الجريدة التى يشرف على تحريرها السيد شاذل طاقة أستاذ الأدب العربى فى مدارس الموصل ...

عبد القادر رشيد الناصري



السكيرة

القصصي الفرنسي جي دي موباسان

وقفت العربة ذات الحصان الواحد أمام مزرعة الأم « ما كلوار » تحمل المعلم « شيكو » خمار « دي به فيل » وهو رجل في العقد الرابع خشن المعارف هائل الخلقة أحمر الوجه بطين سمين ، على وجهه سيما الخبث والمكر

هبط الرجل سلم العربة ، ثم ربط حصانها بخشبة معترضة ومشى إلى ساحة الدار

كانت الأم «ما كلوار» تمتلك أرضاً تجاور مزرعته، طالما تشوفت نفسه إلى ابتياعها منها، وضمها إلى أرضه لولا أن كان يصده عن هذه الرغبة تعصب من العجوز عنيد وتصلب شديد . وكانت تقول :

— إني ولدت في هذه الأرض ، وستجنني تربتها ...

في هذا الصباح ألفي العجوز ، وهي درديبس في الثانية والسبعين من عمرها ، أمام باب منزلها ممنية بتقشير « البطاطس » كانت منكمشة الجلد ، جافة اللحم ، منضوخة الوجه . وبرغم ذلك كانت دائبة على عملها وكأنها في ربيع العمر

تقدم منها المعلم «شيكو» وربت على كتفها في دعابة ثم قال

— وصحتك أيتها الأم ، هل هي جيدة وأبداً جيدة ؟

— أحمد الله ، وأنت أيها المعلم ؟

— بخير ، ولولا قليل من الألم لسكنت هانئاً راضياً

— جد مليح . ثم لاذت بالصمت وأخذت تقشر البطاطس وتديرها في حذق ومهارة ، بين أصابع يابسة عقداء معروقة ، تشبه أرجل السراطين ، وفي يدها اليمنى سكين عتيقة مثلمة لا تكاد تقطع الجبن

وحين فرغت من البطاطس ، وأضحت لماعة صفراء ، ألقت بها في قدر مملوءة ماء . فإذا دجيجات وأفرخ تسعى إليها ناقة مقوقئة ، ثم تختلس ما تبقى في حجرها من قشور البطاطس ، وتترا كض في خبث عنها وفي منقار كل منها ما غنمت من قشور

كان المعلم «شيكو» يرقب هذا المنظر في سأم وضيق وفي نفسه أمر، وعلى لسانه كلام يجتهد في انتزاعه، وأخيراً وفق فقال

— ألا خبريني أيتها الأم « ما كلوار »

— وما عساي تخبرتك به ؟

— ألا زلت ترفضين بيعي مزرعتك ؟

— هذا أمر قد فرغت منه أيها المعلم « شيكو » فلم إقلاقي به مطلع كل صباح ومهبط كل ليل ؟

— ولكني يا سيدتي وجدت حلا المسألة إن رضيت به خرج كلانا راضياً بصفقته غير أسف ولا مغبون

— وما هو هذا الحل ؟

تبيعينني أرضك ثم تحتفظين بحق استثمارها ما بقيت على قيد الأحياء ، أفلا يرضيك هذا أيضا ؟

فشغلت العجوز عن تقشير البطاطس ، وراحت ترمى الرجل بنظر حاد عنيف تحت جفنين خلقين أجمدين . ثم قال الرجل مفسراً :

— إنك إن ترضي بهذه الصفقة تتسلمي في منتهي كل شهر مائة وخمسين فرنكا أحملها إليك في عربتي . أتتدبرين قولي ؟ أتفقهين حديثي ؟ مائة وخمسون فرنكا ثم لا تتبدل لك حال ، ولا تتغير حياة ؛ فستظلين في حقلك آمنة السرب رافهة العيش لا يدينك أحد ولا تدينين لأحد ، ولا تمملين أمراً ، ولا تنصبين نفسك لعمل . إلا أن يكون استلام مائة وخمسين فرنكا ، مطلع كل شهر ، عملا شاقا يكد وينصب . قال هذا وطفق ينظر إليها فرحاً مستبشرا وعلى وجهه الطيبة والصلاح والمسكنة ... والعجوز تلحظه حذرة متيقظة . وقد كبر في وهمها أنه خادع لها وناصب لاصطياد مزرعتها أحبولة من ألفاظ منمقة مزورة . على أنها سألته في خبث :

إنك لتؤكد لي أن المزرعة ستظل في حوزتي فهل بلغ من أريحيتك أن تتبرع لامرأة عجوز بهذا الراتب الضخم دون فائدة تعود عليك؟ قال المعلم شيكو وقد أدرك ما تنطوي عليه غمزة العجوز

لا أثقل عليك يا سيدتي في شأن الأرض ، فلسوف تغلين خيراتها وتنتفعين بثمراتها ما مد الله في حياتك العزيزة . غير أني

أرجوك أن تكتبى لى صكا شرعيا ، يخولنى حق امتلاكها بعد عمرك الطويل إن شاء الله . ولبثت المرأة وهى تصغى لقول المعلم مأخوذة دهشة حائرة لا تملك لرأيها إبراما ولا نقضا ، ولا لموقفها من الرجل إجابة ولا رفضاً ، وأخيراً قالت :

إنه لا يسعنى رفض اقتراحك ، فلو أنظرتنى أسبوعا آخر أتبصر أمرى وأروى رأيى . فأطاع المعلم « شيكو » ثم غادر الأم فرحاً فخورا ، كأنه الملك الجبار ، استولى على بلد عدوه بالحديد والنار ... أما الأم « ماكاوار » فقد أمضت أيامها ساهمة حالمة ، لا يستقر جنبها على مضجع ، ولا تزور جفنها سنة من نوم . ثم استشعرت بها حميا التردد وعصفت نار الحيرة فكادت توطن نفسها على الرفض التام ، لولا أن ذكرى المائة والخمسين فرنكا الطنانة البراقة ، التى توشك أن تتدحرج فى حجرها مطلع كل شهر ، كانت تلهب رغبتها الخامدة وتذكى أطماعها الهامدة

وأرادت أن تضع لترددها حدا ، فمضت إلى الوثق الشرعى تنفض له جملة حالها وتستنصحه فى أمرها . فأشـار إليها بالاطمئنان ونصح لها بالرضا بمحل المعلم « شيكو » ، ولكنه اشترط عليها لذلك ، أن يضاعف لها الراتب فيجعله ثلثمائة بدلا من مئة وخمسين فرنكا لأن مزرعتها تساوى فى أقل ثمن ١٦٠ ألف فرنك ، ثم قال لها فى أضعاف حديثه :

— لئن عمرت خمسة عشر عاما ، فلن ترزئى صاحبك أكثر من أربعين ألف فرنك — فاستخفت جسم العجوز هزة من الطمع حين ذكرت الثلثمائة فرنك التى سوف تحظى بها رأس كل شهر ولكنها على ذلك ظلت حذرة مبلبلة الخاطر ، تنوشها الهواجس ، وتتوزعها الوساوس فهى تتوقع حيناً مفاجأة مفجعة وآنا مكيدة مستورة ، لا تبصرها ولكنها تحسها . ولبثت حتى المساء تناقش المسألة بكل حل ، وتواجه المقترح من كل جهة . ثم . ثم لم تستقر على عزم ولم تتوجه جهة من الرأى

وجاءها المعلم شيكو يستطلع رأيها ويستعلم غرضها الأخير فأنهت إليه قرارها النهائى ، بلزوم رفع مرتبها الشهرى ، وحين رأت هزة الإخفاق تركب أوصاله ، ونار الغيظ تحتدم فى عينيه ، وبوادر الرفض تتوافد على لسانه ، أظهرته على قائمة السنين التى يمكن أن تعيشها بعد هذه الصفقة فقالت :

— إنى من الوهن ورقة العظم واشتعال الشيب بحيث لا أستطيع الانتقال إلى سريرى إلا مستندة إلى الأذرع ، أو محمولة على الظهور

ومهما يمتد بى خيط العمر ، فإنه كخيط العنكبوت وشيك الانبتات سريع الانقطاع . وهل بعد الثلاثة والسبعين عاماً التى توقر كاهلى حياة ترجى أو عيش ينتظر ؟ وقاطعها المعلم مغيظا فقال .

— إنها لمحاولة فاشلة منك ياسيدتى أن تصطنعى العجز وتتظاهرى بانقطاع المنة . فثقى أن منجل الموت لا يعرف سبيله إلى شجرتك قبل أربعين سنة فى أقل تقدير ، وإنى أراهن على أنك أنت التى ستتولين دفنى ، فما هذا الخوف والفزع من الموت ؟

وتصرم عمر النهار فى الجدل والنقاش والأخذ والرد ، وجهد المعلم « شيكو » الجهد كله ليقنع العجوز بالنزول عن طلبها الجائر المرهق فما عاد بطائل . وحين لم يجد مندوحة من إجابتها رضى مكرهاً بدفع الثلثمائة فرنك ... وعبرت سنين ثلاث وصاحبتنا العجوز كالسروة العتيقة لا تزيدها الأيام إلا صلابة وجلداً على الأيام ، حتى يئس المعلم من موتها وخيل إليه أنه مرغم على دفع مرتبها الضخم نصف قرن أو يزيد ، وأن صفقته كانت هى الخاسرة المغبونة ، وأنه لا بد موف على الخراب صائر إلى الإفلاس إن ظلت معاهدة الصداقة والود بين العجوز وعزرائيل متينة العرى

كان يتردد على المرأة الفينة بعد الفينة بحجة السؤال عن نضوج الحنطة ، أو الاستفسار عن موعد الحصاد ؛ فكانت تستقبله فى خبث ، وفى قلبها الشماتة والتشفى ، وفى معارف وجهها سورة الافتخار والزهو للدور المضحك المسلى الذى لعبته على مسرح بلاهته وغفلته . فكان يرتد سريعاً إلى عربته ويجمجم :

— وإذن فليس فى نية هذه البهيمة أن تموت ؟ فلم يكن يعرف لمشكله حلا ولا لعقدة أزمته فكاكا . فكانت تمر به ساعات يود فيها لو أهوى على عنق العجوز فخنقه ، وروحها فأزهقه ، مما فى نفسه منها من الغيظ والحنق والموجدة ، وظل زمناً يلتمس وجهة الحيلة للخلاص من طامة العجوز المشؤومة . وأخيراً ظفر بما رجو ؛ فغدا عليها يوماً يطفر من البشر والسعادة ، ويصفق بيديه من الفرح والمرح ، وبعد أن ناقلها برهة حديث المجاملة والود قال :

— ألا قولى لى أيتها الأم ماكاوار فيم امتناعك عن زيارة

منزلي حين مرورك على حانة « إيدى فيل » ؟ إن الحديث فيه لذيذ وممتع ، وأنا هناك يا للأسف مقطوع الصلة من الصديق ، منبت الوشيجة من القريب ، لا يؤنس وحشتي زائر ، ولا يمر على عابر . فزوريني إن تكرمت وكلي ما طاب لك فلست مرزئك مالا ولا مكلفك دفع طعام أو شراب . زوريني ففي زيارتك تشيع البهجة في قلبي وينتشر السرور في داري

وفي الغد لم تكلفه الأم إعادة الاستزارة ، فراحت إليه في عربتها ، والشمس لم تغادر خدرها الوردي ، وحين بلغت الحانة ربطت حصان العربة في الاصطبل ، ثم دخلت عليه طالبة الغداء الموعود

لم يكد يصدق عينيه المعلم شيكو ، وراح ينشط في خدمتها ويجتهد في مرضاتها ، كأن أمامه سيدة نبيلة لا قروية بخيلة ، ثم أخذ يفتن في تقديم فاخر الأطعمة والآكال وغريض اللحم ، من الطير المبهر ، والدجاج المحمر ، ولحم الخنزير المشوي ، وأصناف من الخضار والفواكه والتوابل ، ولكنها لم تصب من هذه الآكال الدسمة إلا ما يوافق معدتها العجوز التي اعتادت الاكتفاء بحساء اللحم الرقيق ، أو قطع الخبز المغموسة بالزبد ، وألح الرجل وعزم عليها . ولكنها لم تأكل مضغة ولم تشرب جرعة حتى القهوة امتنعت من تناولها . وأخيراً قال لها وهو يناولها قدحاً من « الكونياك » :

— أو ترفضين أيضاً هذا القدح ؟

— اما هذا فأقبله دون أن أقول لا . فرجت أركان الحانة بصوت المعلم يقول :

— « روزالي » أيتها العزيزة . احملي لنا كل فاخر معتق من الكونياك . وظهرت الخادمة تضم إلى صدرها زجاجة طويلة ممشوقة ازدانت فوهتها بطابع الكونياك الفاخر . فتناولها المعلم شيكو وأفرغ منها قدحين ، ثم عاطى العجوز أحدهما . قائلا :

— إنه لكنياك لذيذ شهير ، أفلا تذوقينه ياسيدتي ؟

فتناولته الأم « ما كاوار » شاكرة وطفقت تتحساه جرعات صغيرات ، وما أن فرغت من القدح الأول حتى أفرغ لها المعلم قدحاً ثانياً ، فأعرضت عنه أولا ثم أكرها المضيف بالقول اللطيف والتجمل الظريف والنكتة المستملحة . وكان عازما على إردافه بثالث ورابع لولا أن عالنته برفضها وامتناعها

— ولكن هذا يا سيدتي ليس خمراً ؛ إن هو إلا حليب مصفى ، أبتلع عشرة أقداح منه دون أن يتمشى السكر أو تذهب بوقاري النشوة ، لا يكاد يستقر في الجوف كالسكر المذاب حتى يتبخر في الجسم دون أن يجد طريقه إلى الرأس . وليس كمثله شيء لصحة الجسم وابتعاث النشاط . فدعا ذلك العجوز إلى أن اجترعت نصف الكأس الثالثة ، ولم تجرؤ على استنفادها لأنها شعرت بفعل السكر بأطرافها ، وتلعاب الخمر بأعطافها . فأهرعت إلى عربتها ومضت ... وغدا عليها صاحبنا في عربته ذات الحصان الواحد وحين استقر بهما المجلس أخرج من جوف العربة برميلا صغيرا ، فيه خمر الأمس ، ثم جلسا يعيدان سيرة البارحة ، ولما استقر في جوف كل منهما ثلاثة أقداح ، غادرها المعلم قائلا :

— ماأراني بحاجة لأقول لك إن الخمر التي أبقيتها لك تكفيك مدة ، فإذا فرغت منها فعندي لك اللذيذ المعتق لا أبخل عليك به ، وكلما ألححت في الطلب ألح على السرور وطبت نفساً . .

وآب إليها بعد أيام أربعة ، فألفاها على الباب معنية بتقطيع الخبز الذي تعده للحساء ، فاقترب منها أنفاً لأنف وبدرها بتحية الصباح ، فنفحته منها رائحة « الكحول » وملأت خياشيمه ، هنالك أضاء وجهه بنور البشر والفوز ثم قال :

— ألا تقدمين إلى قدحاً من الكونياك ... ؟ وجلس الاثنان يعاقران الخمر ويشرب كل منهما نخب صاحبه ... ولم يطل الأمر بالأم « ما كاوار » حتى شاع عنها أنها تعاقر الخمرة متخلية لنفسها وفي الحق كان الجيران يلقونها إما مستلقية أمام مطبخها أو ساحة دارها لا تعي ، أو منطرحة في الطرق والشوارع لا تحس ، فيحملونها إلى بيتها جثة لا حراك فيها ولا وعي ...

ولم يعد المعلم شيكو يتردد على بيتها ، فكان يقول للجيرة رائيا :

— إنه لما يبعث الأسى أن تدمن هذه العجوز الشراب وهي في أرذل العمر ، مع أن الخمر تعجل خطواتها إلى القبر

وفي الحق لقد وجدها أهل القرية ميتة على بساط الثلج صباح عيد الميلاد عقب سكرة إنكليزية أبات فيها البلاء الحسن وورث المعلم « شيكو » أرضها كما خوله الصك ، فكان يقول :

— لو لم تتلف هذه العجوز البلهاء صحتها بسموم الخمر ، لعاشت عشر سنين أخر !

مطبعة الرسالة